عمرو البدالي

التاسوع
و
المُدنس

حين يتحول الدم إلى بوابة ... لا مفر من اللعنة

رواية

ساحر الكتب

نون للنشر والتوزيع

الكتاب: التاسوع المدنس

المؤلف: د. عمرو البدالي

تصميم الغلاف: محمد دربالة

التدقيق اللغوي: محمد عبد العال

التنسيق الداخلي: هند محمود كمال

رقم الإيداع: 2025/16737

الترقيم الدولي: 978-977-778-453-5

---

30 عمارات العبور – طريق صلاح سالم – القاهرة

ت: 01096539633

إيميل: info@noonpublishing.com

جميع حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للناشر

شكر خاص للمنتج والصديق العزيز

محمد عبد الرحمن.

هذه الأحداث خيالية، تستند إلى بعض الأساطير القديمة، ومع ذلك لا أنفي حدوثها بشكل قاطع، فالأساطير غالبًا تحمل كثيرًا من الحقائق المُحرّفة عبر الأزمان.

د. عمرو البدالي

إنّ الحَضارَةَ المِصرِيّةَ لا تَنحصِرُ في عَصرِ الأُسَراتِ وما بَعْدَهُ، لا يُمكِنُ أنْ يَكونَ عُمرُ الحَضارَةِ كُلُّها خَمسَةَ آلافِ عامٍ، وما قَبلَ ذلك يُوصَفُ بأنّهُ عَصرُ إنسانِ الكَهْفِ!

دَعوني أُخبِرُكُم سِرًّا يُبذَلُ كُلُّ الجُهدِ لإخفائِهِ عَنكُم، إنّ الحَضارَةَ المِصرِيّةَ يَصِلُ عُمرُها إلى سِتّةٍ وثَلاثينَ ألفَ عامٍ - على الأقَلِّ، وهَذا ما جاءَ في بَرديّةِ "تورين"، وما كَتَبَهُ "مانيتون السمنودي" في كِتابِهِ الجِنبتانا - أسفارُ التّكوينِ المِصرِيّة.

رُبّما تَزَدّدتُ كثيرًا في إبرازِ دَليلٍ قاطِعٍ، ولَكِنّكُم سَتَجِدونَ في هَذا الكِتابِ بَرديّةً نادِرَةً، يَعودُ عُمرُها لِسِتّةٍ وثَلاثينَ ألفَ عام، وفي هَوامِشِها وَقّعَ كُلُّ مَن حَمَلَ سِرّها باسمِهِ، وتاريخِ احتِفاظِهِ بِها وَفقًا لِتَقويمِهِ في زَمانِهِ.

مِنهُم مَن أرّخَ بِـ"حَزبِ الوادي"، وأعتَقِدُ أنّ تِلْكَ الحَزبَ كانتْ بَينَ قابيلَ وأبنائِهِ، وبَينَ بَقِيّةِ أبناءِ آدَم.

تِلْكَ هِيَ: بَرديّةُ التّاريخِ المُحرّم...

د. كاظم مروان

كتاب التّاريخ المُحرّم

(كتاب لم يخرج للنور)

- 1 -

اليوم السادس والثلاثون

بيت البساتين - الثالثة بعد منتصف الفجر

باتت "شهرزاد كاظم مروان" ليلتها كعادتها وحيدة في فراشها بشقة والدها في حي البساتين بعد احتفال صغير بعيد ميلادها السادس والثلاثين، وعلى الرغم من حنان والدها المتدفق طوال سنين مضت إلا أنها ما زالت تعاني من فقدان والدتها بشدة فقد ماتت وهي بنت ثماني سنوات لتترك شهرزاد وافدةً جديدةً في مدن الحرمان كغصن بالٍ في مهب رياح الزمن، اليوم تُكمل عامها السادس والثلاثين غارقة في دراستها حول التاريخ القديم مُغلقة كل باب ينفتح لارتباط محتمل ولم يُعارضها والدها في ذلك أو بالأحرى لم يقدر قط على العيش من دونها وإن كان يُنكر ذلك.

حياة ساكنة هادئة بين أروقة المكتبات وصفحات الكتب ومومياوات يملؤها عبق الماضي السحيق.

أغمضت شهرزاد عينيها بعد أن أطفأت مصباحها الجانبي وهي لا تدرك قُرب ذلك الطوفان الرابض خلف أبواب حياتها منتظرًا اللحظة الحاسمة لهدم كل شواطئها المستكينة وتلك النبوءة البعيدة المُقتربة على عرش من جحيم:

"في العام السادس والثلاثين للوريث في اليوم السادس والثلاثين السماوي سيومض ستان فوق موكب مهيب قادمًا من سفر بعيد وتبدأ مراسم استقباله".

عدّاد رقميّ في السماء عمره ست وثلاثين يومًا، ولكن اليوم

الواحد بألف عام أرضي، وفي يومه السادس والثلاثين أي بعد ست وثلاثين ألف عام أرضي يُولد وريثٌ ستسوقه الأقدار نحو مصير مجهول، وكانت هي وريثتهم السريّة.

شهرزاد كاظم أستاذة في علم المصريات ومسئولة الحفريات في متحف الحضارة الجديد.

صوت دقات طبول بإيقاع رتيب يتسلل إلى مسامع شهرزاد، تفتح عينيها، تبدّلت غرفتها بساحة شاسعة لا نهاية لها على مدى البصر، جلست مذهولة، حول فراشها عدد لا نهائي من البشر معصوبي الأعين بأشرطة سوداء يرددون كلمةً واحدة بصوت مرعب:

– ساتان، ساتان.

ثُدرك معناها جيدًا، إنه اسم علم للشيطان كما يُطلق عليه آخرون أبادون ولوسيفر، وفي اعتقاد البعض أنه اسم آخر للإله ست إله الصحراء والخراب في عقيدة المصريين القدماء.

– ساتان، ساتان.

صوتهم يزلزل كيانها، حاولت النداء على والدها من دون مجيب:

– أبي! أبي!

إنهم ثابتون في أماكنهم لا يتحركون، وقفت في جوار فراشها خائفة ترتجف، تحركت بينهم مترددة باحثة عن مخرج، الطبول يزداد إيقاع دقاتها، نظرت للأعلى، السماء ممتلئة بالنجوم واختفى القمر كليًا وكأنه لم يوجد يومًا ما،

ثُلقي النجوم البعيدة ضياءها على الوجوه المعصوبة العينين، شهرزاد هي الوحيدة التي ترى، ربما تلك مأساتها، فالناظر في عالم العميان كالعاقل في بلاد المجاذيب، كلاهما يتجرع العذاب الأليم، عقارب ساعة ضخمة تتحرك بلا توقف.

رائحة عطنة تتسرب إلى أنفها، عبق الموتى يتسلل، وكأن كل من حولها غيّبهم الموت منذ عقود وعقود، تتحرك بينهم، تخترق زحامهم متوجسة، صوتهم يهتز له قلبها.

أسوار عالية تحيط بتلك الآلاف من البشر، وصلت شهرزاد إلى أحد تلك الأسوار، حاولت أن تقفز أعلاها، جُرحت يديها، توقفت وعادت إلى الوراء، قطرات من الدماء تتساقط من كفيها الناعمتين، الأسوار يعلوها آلات حادة كالسكاكين ربما تقتل كل من يحاول العبور، راقبت متوجسة لما بعد الأسوار، فراغ كوني مرعب، وكأن السماء تُغطى حدود تلك الأسوار فقط وما بينها، أما ما بعد تلك الحدود فلا سماء أو أرض، إحساس مريب ينتابها وكأنها تقف عند حافة الكون تتمنى أن تُلقي نفسها في فراغ مجهول على أن تبقى في عالم العميان المستمرين في استدعاء إبليس من دون توقف:

– ساتان، ساتان.

في لمح البصر تحولت نجوم السماء إلى طيور ضخمة بمناقير مدببة حادة وأرجل عظيمة بمخالب يقطر منها الدماء، الطيور تقترب من البشر بأعداد لا تُحصى خافقة بأجنحتها الضخمة، شهرزاد تصرخ عاليًا:

– النجدة.

أضواء مخيفة تبرق في عيون تلك الطيور التي لم يأت

مثلها في تاريخ البشر أو على الأقل ما تعرفه شهرزاد من تاريخ مدّون، كأنه برق مهيب، أجنحتها تضرب الهواء من حولهم لينتج عنه عاصفة ترابية ضخمة تكاد تقتلع جذورهم من الحياة وتُلقيهم في دوامات من جحيم لا يُضاهى، ووسط ذلك الارتباك تلتقط مخالبهم الناس وترتفع بهم عنان السماء وتتركهم يسقطون لتتمزق أجسادهم وتتناثر أحشائهم في كل مكان وتمتزج دماؤهم، رائحة الدماء تجزع لها النفس، تركض شهرزاد من دون أن تفهم ما تواجهه، تقاوم الرياح الشرسة وتغرز قدميها الحافيتين في بحور من أشلاء مختلطة وتشق صفوف الناس المذعورين ومع ذلك يصيحون بأعلى صوتهم:

– ساتان، ساتان.

تلتقطها إحدى تلك الطيور وترتفع شهرزاد إلى السماء، تتلاطم الرياح على وجهها، تلتفت إلى الأرض أسفلها، تبرق عينيها، الآن بات المشهد واضحًا من أعلى، تلك الأسوار العالية الضخمة لمئات الكيلومترات ماهي إلا حدود كلمتين بحجم العالم وفي داخلها امتلأت بالدماء والجثث الغارقة في بحور الدماء المختلطة وما خارجها فراغ، كلمتان يعلوهما تمثال ضخم يقبع في ظلام مريب للإله ست ممسكًا بصولجان واس في يده، وكأن مجهول خطه فوق الكرة الأرضية ويجر الناس عبر الأزمان لملء كلمتيه، تلفظتها بصوت هامس مرتعش متعجبة:

– دم مُدنس.

في تلك اللحظة انفلتت من مخالب الطير وسقطت، ارتطمت بجزء من الأرض وتحولت إلى أشلاء متناثرة قبل أن

يجتاحها أمواج هائلة من الدماء، سكون، رائحة عفنة، طوفان دمويّ جارف، صوت عقارب الساعة التي هي بحجم الكون.

تصحو شهرزاد من نومها مفزوعة تستعيذ من كابوسها، استنشقت الهواء البارد، نظرت حولها، كل شيء كما هو في غرفتها الغارقة في سكون يخترقه صوت زخات المطر على زجاج نافذتها، التفتت إلى فراشها لتجد بقعة دماء، للتو لاحظت أن يدها مجروحة نفس الجرح الذي كان في كابوسها حينما حاولت القفز فوق ذلك السور الدامي، همست:

– دم مُدنّس.

- 2 -

اليوم السادس والثلاثون

فيلا المزرعة - الثالثة والنصف بعد منتصف الليل

– تقبّل أيها الإله ذلك القربان، وخذ بيدي لأنجو من طوفان الأحاجي.

وقف الرجل المجهول خاضعًا أمام تمثال ضخم من خشب الأبنوس أسود اللون للإله ست رب الصحراء في الأساطير المصرية القديمة، ذلك الغارق في غياهب دوامات الزمن البعيد، المُرصّع تمثاله بماء الذهب كأنه الشمس يضوي في تلك الغرفة السوداء جدرانها ليتغلب على مصابيحها الصغيرة المتناثرة بدقة في أنحاء الغرفة، جدران ممتلئة برسم واحد منتشر في كل الغرفة، نجمة خماسية يحيطها دائرة من الطلاسم والكلمات المصرية القديمة باللغة الهيراطيقية.

عقارب ساعة ضخمة بحجم الكون تتحرك ببطء شديد مصدرة صوتًا خفيًا لا يسمعه غير المُختارين، موسيقى هادئة تنبع من سماعات متصلة بحاسوب إلكترونيّ على مكتب صغير في جانب الغرفة والرجل يتمتم بكلمات سحرية ضامًا كفيه في خشوع، مشعلان جانبيان للتمثال يخرج منهما دخان رائحته كالمسك وعينيّ الرجل تمتلئان بالدموع.

اقترب من التمثال وتلمّس كل شبرٍ فيه، كأنه بشريّ حقيقيّ فريدًا من نوعه يقف أمامه، تمثال لرجل رفيع برأس حيوان أسطوري له أذنين كالهرمين المقلوبين ومنقار عريض ضخم وكأنه مزيج بين الحصان والغراب والذئب، على مر العصور

غُرف الإله ست بتلك الهيئة وصُور على جدران المعابد في قصته الأسطورية وصراعه مع الإله حورس، تلمّس صولجان واس الممسوك في يد التمثال شامخًا، تلك العصا الطويلة ثنائية النهاية كالشوكة ورأسها يشبه رأس غراب طُوع في يد الإله ست للإمساك بالأفاعي.

على طاولة دائرية قريبة كتاب بعنوان القُطرُب، نظر الرجل ناحيته ساخرًا من مؤلفه بعدما انتهى من قراءته الليلة، تبنى الكاتب فكرة خيالية لا وجود لها، إرهاصات متكررة بأن قصة حورس وست لا أصل لها على الإطلاق، مجرد أسطورة، تحرك الرجل ناحية الكتاب وألقاه أرضًا هامسًا:

– اللعنة على ذلك المؤلف المجذوب.

القمر يختبئ خلف سحب ركاميّة تملأ السماء فوق تلك البناية ذات الثلاث أدوار الساقطة في بحر من الأشجار العالية تتوسطها، تكاد تخفيها فروعها المتشابكة، في ذلك البيت داخل تلك المزرعة الخاصة يتكرر تقديم القرابين كل فترة ليست بالبعيدة.

التف الرجل المجهول وعلى وجهه ابتسامة ممزوجة بعناء تكبّده لسنين طويلة، خطا بقدميه نحو قربانه الجديد في منتصف الغرفة السوداء، ارتدى معطفًا بلاستيكيًا وغطى عينيه بنظارة عدساتها كبيرة، تنهد للحظة ثم ترجل ناحية الحاسوب الإلكتروني.

رفع صوت الموسيقى عاليًا، ارتدى قفازيه وعاد نحو قربانه، صوت عقارب الساعة الضخمة لا يتوقف، أنات ضعيفة تصدر من قربانه، أمسك بمنشار كهربائي وقام بتشغيله، صوت

المنشار حاد لا يتغلب عليه صوت الموسيقى أبدًا، حاول كثيرًا أن يجد حلًا لهذا الصوت المزعج من دون فائدة، التفت سريعًا إلى تمثال ست والقمر يطل من خلفه عبر النافذة المفتوحة، الآن يشهد القمر غير المكتمل على تفانيه في خدمة ست وبقاءه على العهد.

وقف للحظة عند تلك الطاولة ينظر إلى قربانه، فتاة رائعة الجمال غائبة عن الوعي ملقاة عارية فوق الطاولة، نظر إلى مفاتنها وأعجبه لون طلاء أظافر يديها الأحمر الأرجواني ثم ابتسم هامسًا:

- هنيئًا لك يا سِت.

فتحت الفتاة عينيها بالكاد وهمست بصوت متثاقل:

- من أنت؟

اقترب منها وربّت على رأسها بيده الأخرى ناظرًا في عينيها بحنان:

- ألا تتذكرين؟

حاولت جاهدة التركيز في ملامح وجهه، تذكرته، إنه ذلك الوسيم الذي ظل يطاردها بسيارته لأكثر من عشرة أيام حتى رق له قلبها المنغمس في وحدة قاتلة، ابتسمت له وركبت، ذلك آخر ما تتذكره.

في ثوانٍ معدودة حاولت فيها النهوض من دون فائدة مرتبكة:

- ماذا فعلت بي؟

- أيُعقل أن يُدفن هذا الجسد الجميل تحت الثرى هكذا من

دون فائدة.

صرخت:

– أرجوك، اتركني.

مرر يده فوق جسدها البضّ وعينيها لا تفارق منشاره المرعب:

– أتعرفين بلوكارتو؟ كاهن يوناني من القرن الأول الميلادي، يقول: "إن الجسد هو نعش الروح المدفونة في هذا العالم".

قالها وهو يتحسس جسدها...

– أحب نعش روحك أيتها الفتاة الجميلة.

– اتركني يا مجنون، النجدة.

صرخت بأعلى صوتها ولكن جاء صدى صراخها يجر أذيال الخيبة في تلك المنطقة المنعزلة بأشجارها.

دب حافة المنشار من دون تردد ليفصل رقبتها في غمضة عين عن جسدها، أخذت تخور وتخور واهتز جسدها واندفعت نافورة دماء تناثرت بقوة على وجهه ومعطفه البلاستيكيّ.

ظل ينظر لها حتى سكنت وهو يتمتم هامسًا:

– يا من تشرق في الكون وتخرج من مساكنك الخفيّة.. يا من تعود من الأفق الشرقي للسماء وتسبر أغوار الدروب وتطوف حول مقامك المقدّس، تقبّل قرباني الصغير.

سكنت حركتها تمامًا، تناول رأسها المفصول ونظر في

عينيها الجاحظتين وقبّل شفتيها بشبق لا يُضاهى، ثم رماها في سلة مهملات لترتطم برأس آخر، يبدو أنه لم يتخلص من بقايا قربانه السابق لها حتى الآن، همس:

– شفتاكِ لها طعم لذيذ.

حمل جسدها من دون رأس وتحرك ناحية باب جانبي، فتحه وترجل في رواق طويل دائري سوداء حوائطه هو الآخر، دخل بها غرفة واسعة، أضاء مصباحها العلويّ، لتظهر عشرات الجثث هنا وهناك، رائحة الغرفة لا تُطاق ولكنه يتحمل أي شيء في سبيل معشوقه ست.

وضع جسد الفتاة في إطار خشبي مُفرغ ودق يديها وقدميها في حوافه فبدت واقفة، هرع إلى طاولة جانبية عليها رؤوس عديدة تشبه رأس الإله ست الأسطوري، لقد صنع منه الآلاف بنفس الشكل بأحجام مختلفة، توقف للحظة ليختار المقاس المناسب، ثم التقط واحدًا منهم ووضعه فوق جثمانها الممشوق، ابتعد ليرى المشهد النهائي، القربان رقم ست وستين...

ستة وستون جسد يأكله العفن وما زالوا ممشوقين برؤوس الإله ست.

ذلك الرجل المجهول لم يتكبد قط أي مخاطرة في تقديم تلك القرابين، فهو يصطاد قرابينه بعناية فائقة ويُدرك تمامًا أن اختفاء هؤلاء الأشخاص لن يثير انتباه أي أحد فالمعانين من الوحدة والمشردين والمكروهين ممن حولهم لا تُقدر أعدادهم.

خلع معطفه الغارق بالدماء ونظارته وبدّل ملابسه، تخلص

من آثار الدماء وخرج ليشرب كوبًا من القهوة سريعة التحضير ويتابع شروق الشمس في هذه المنطقة الخلابة، في هذا الوقت كل يوم تخرج الشمس على استحياء وترسل أشعتها لتعم العالم أجمع حتى يختفي القمر، ولكن لبعض الوقت يرى الشمس والقمر في السماء ظاهرين وكأنهما يتحديان بعضهما بعضًا ويتساءل عمن سيصمد حتى النهاية، لطالما اعتقد القدماء أنهما إلهين يتصارعان على حكم الأرض حتى اقتسما الحكم بينهما ليلًا ونهارًا وسيأتي يومًا يتغلب فيه أحدهما على الآخر لتصير الدنيا نهارًا كاملًا أو ليلًا كاملًا من دون منازع.

ارتشف قهوته ورائحة الدماء الطازجة تملأ أنفه ممتزجة بعبق العفن الدائم لتلك الجثث.

رن هاتفه المحمول، رسالة صباحية، قرأها، برقت عيناه:

– تم العثور على الهدف المنشود.

- 3 -

اليوم السادس والثلاثون

شقة البساتين - الساعة الثامنة صباحًا

– مصر هي فجر التاريخ ومنشأه فأول المعابد بُنيت في مصر ولجأ إلى أرضها إبراهيم أبو الأنبياء ويعقوب والأسباط ونشأ موسى على ضفاف نيلها وتعلّم في معابدها وكذلك لجأت العائلة المقدّسة إليها وأمثلة كثيرة لا تعد ولا تحصى.

ارتشف السيد كاظم مروان قهوته مُستغرقًا في كتابة مقدمة كتابه الجديد في علم المصريات، كتاب "التاريخ المُحرّم" ذلك الرجل الستينيّ المثير للجدل دائمًا في الأوساط الثقافية والأثرية لدرجة أن البعض وصمه بالجنون لغرابة ما يتبناه في كتاباته.

– إن الحضارة المصرية لا تنحصر فقط في عصر الأسرات وما بعده، لا يمكن أن يكون عمر الحضارة بأكملها خمسة آلاف عام أي منذ أن وحد الملك مينا نارمر القُطرين، وما قبل ذلك يُوصف بأنه عصر إنسان الكهف، دعوني أخبركم سرًا يبذلون كل الجهد لإخفائه عنكم، إن الحضارة المصرية عمرها 36 ألف عام على أقل تقدير، وهذا ما جاء في بردية تورين وما كتبه مانيتون السمنودي في كتابه الجبتانا - أسفار التكوين المصرية، ربما تردت كثيرًا في إبراز دليلًا قطعيًا على ذلك، ولكن ستجدون في هذا الكتاب صورةً لبرديّة يعود عمرها لست وثلاثين ألف عام وليس هذا فقط بل أن في هوامشها وقّع كل من حمل سرها باسمه وتاريخ احتفاظه بها تبعًا

لتقويمه في زمانه، فهناك من يؤرخ بحرب الوادي، واعتقد أن تلك الحرب هي التي دارت بين قابيل وأبناءه وبقية أبناء آدم، وهناك من يؤرخ بـ...

قاطعته ابنته الوحيدة شهرزاد، تلك الساحرة الجمال الموشكة على نيل الدكتوراه في علم الآثار، قبلتّه:

– صباح الخير.

– صباح الخير يا حبيبتي.

– هل انتهيت؟

– على وشك، اكتب المقدمة.

مدت يدها وأمسكت الأوراق وقرأت العنوان:

– التاريخ المُحرّم، هكذا أنت دائمًا يا دكتور، مثير للجدل.

– سيعجبك.

– أتوق إلى قراءته بشدة.

– سأنتظرك على الغذاء.

– لن أتأخر.

ودّعته وخرجت إلى عملها في متحف الحضارة الجديد، وعاد هو إلى كتابة مقدمته، ارتشف آخر قطرة من فنجانه وتنهّد، عاد إلى الوراء وفكر قليلًا، شعر بأنه يقترب من كشفٍ علميّ رهيب، لن يقوى معارضوه هذه المرة على تكذيبه، فتح درج مكتبه وأخرج تلك البرديّة الكبيرة من ورق البردي الملفوفة على بعضها بعضًا، فتحها وقرأها بفخر، تلك التي يطل منها عبق الزمان السحيق، على ظهرها كُتبت أسماء

وتواريخ بعدة لغات منها الهيراطيقية والسريانية.

تركها بجواره وعاد إلى الكتابة من جديد على أوراقه..

– حينما قال أليكسندر غراهام بل مخترع الهاتف: ما نفعله الآن هو إعادة اختراع أجهزة قديمة لم يكن يكذب، فتلك الحضارة البعيدة صاحبة الـ29 ألف عام قبل التاريخ المتعارف عليه حملت الأرض أرقى التقنيات وأكثرها تقدمًا، ما لم نصل إليه نحن حتى اللحظة مع كل التقدم الذي نعيشه في العالم اليوم، صدق أو لا تصدق، ولكن دعني أخبرك بما هو أهم من ذلك، وطبقًا لهذه البرديّة التاريخية فإنني أعلن اكتشافًا مذهلًا، اكتشاف يجيب على تلك الأسئلة، من أين جاء القدماء بآلهتهم التي عبدوها في الميثولوجيا المصرية القديمة، من أين جاءت أسماء أوزيريس وست ورع وجبت وأتوم وإيزيس ونفتيس وأبيس وأنوبيس وغيرهم وتحولوا إلى آلهة؟

إن الألف عام بحسابات البشر تساوي يوم واحد عند الله، فإن افترضنا جدلًا أن عمر تلك البرديّة أكثر من 36 ألف عام منذ أول من وقع عليها، قابيل ابن آدم، وهناك ملاحظتان، التوقيع جاء باللغة السريانية باسم آمون والثانية أنه أرخ ذلك بالعام المائتين بعد الهبوط، وأعتقد أنه يقصد الهبوط من الجنة، ولذلك فإن الاستنتاج القريب إلى المنطق هو أن آمون هو نفسه قابيل بن آدم وذلك له أسبابه.

لم يلاحظ السيد كاظم ذلك الرجل المجهول الواقف ورائه مباشرة وفي يده اليسرى قفاز حديديّ له أظافر تشبه السكاكين الحادة الطويلة، همس له:

– مرحى يا سيد كاظم.

التف له كاظم وفي غمضة عين دب الرجل المجهول يده في صدره ليخترق جانبه الأيسر ويغرز سكاكينه بها ثم يلفها بمهارة شديدة وينتزع قلبه في يده.

سقط كاظم مروان أرضًا ميتًا في الحال وتناثرت دماؤه على أوراقه، تقافز القلب النابض في يد الرجل المجهول حتى سكن تمامًا، برقت عيناه بشدة حينما شاهد البرديّة أمامه مباشرة، اقترب منها بعد أن خلع قفازه الحديديّ وتلمسها بشغف مبالغ فيه وكأنه وجد كنزًا لطالما بحث عنه.

شعر حينها الرجل بحروف تُنحت على جسده، خلع معطفه وقميصه ليقف عاريًا وتحرك ناحية مرآة قريبة والسعادة تتملك كل حواسه، لقد امتلأ جسده بالطلاسم السحرية البارزة التي لم ينجُ منها غير ذراعيه ووجهه ورقبته كما كان يتمنى دائمًا، لقد صدقت أقوال القدماء أن حامل البرديّة يصمه الإله ست بطلاسمه لحظة حفظه لها، الآن يدخل الرجل المجهول التاريخ السريّ، امتلأت عيناه بالفخر الشديد.

ما زالت دقات الساعة التي هي بحجم الكون تدق برتابة من دون توقف ولكن لا يسمعها أحد غير المختارين، اليوم السادس والثلاثون، وكنت أنا واحدًا منهم، أسمعها بوضوح منذ اللحظة الأولى لوجودي، أنا البرديّة ذاتها، أو بالأحرى تلك الكلمات التي كُتبت عليها منذ آلاف السنين، أنا راوي تلك القصة، كلمات تروى ولكنني لست مجرد كلمات خُطّت في زمان بعيد، بل أحمل بين حروفي تاريخًا طويلًا مطموسًا، فإن كنت تريد معرفة الحقيقة كما أعرفها أنا فلا بد أن تعود

ساعتي إلى البدايات، منذ 36 ألف عام، لحظة قتل قابيل لهابيل، تلك كانت البداية، سيداتي آنساتي سادتي، أنتم على موعد مع قصة البرديّة الغارقة في بحور من الدماء عبر الأزمان، أنتم على موعد مع التاريخ المُحرّم.

- 4 -

اليوم (الخامس - العاشر)

اليوم يبلغ عمري على الأرض خمسة آلاف عام، ما زلت أتذكر البدايات، حينما تلقاني آدم أبو البشر حمايةً من الشيطان وقوةً يستخدمها لقهره، كلمات سحرية بمجرد تلاوتها تخضع له الشياطين ويتجنب شرورهم وبعد الهبوط من الجنة بفترة أهداني آدم لحواء لأصير حرزًا لها من الشيطان ولكن ابنتهما عناق سرقت الكلمات، عناق بنت آدم، ذات الرأسين في جسد واحد مشوهة اليدين، في كل يد عشرة أصابع، وفي كل أصبع ظفران كالمنجلين، ركضت بكل ما أوتيت من قوة بالكلمات وشدّت الرحال إلى قابيل، كان ذلك بعد أن قتل أخيه هابيل بعقود بعيدة وانفصل عن الجمع وأسس لنفسه إمبراطورية في أراضي الجنوب، لطالما حلمت عناق بتلك الحرية المزعومة في بلاد قابيل وزمرته، بلاد المعازف والرقص اللّذين لا يتوقفان أبدًا تحت سماء إمبراطوريته، لا أدرى كيف عرفت عناق أهميتي ولكن على أي حال سرقتني كلماتٌ مكتوبةً على رقّ جلديّ وألقتني تحت أقدام قابيل عربونًا للاتفاق، اتفاق دنّس، أن يُنصّبها قابيل أول ساحرة في التاريخ، كانت عناق أول من أخضعت الشياطين والجان لأغراض دنيئة، ففي الطريق إلى قابيل عقدت عناق صفقتها مع إبليس ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن فبعد عدة شهور افترسها أسد بحجم فيل ومزقها إربًا إربًا، وانتقلت الكلمات في الخفاء إلى قابيل وزادت من قوته وجبروته، بل أن إمبراطوريته باتت الخطر الرئيسي على باقي البشر في

حضرة بني آدم، قرر قابيل حكم العالم الذي حلم بتسيّده، كتب بيده ما جاء في الرّقّ الجلديّ على ورقة من بردي ليعيش أبد الدهر، وقام بالتوقيع خلفها باسمه الجديد ودوّن التاريخ (مائتي عام بعد الهبوط)، نصب نفسه إله على الأرض وسمى نفسه آمون "أحد الأسماء الواردة في البرديّة"، واقنع أحفاده أن هذا العالم جاء من فراغ كوني، اجتمع قابيل بشعبه في يوم لا أنساه مطلقًا، دُقت الطبول في كل مكان وارتقى قابيل عرشه المصنوع من ذهب في ساحة عظيمة على جانبيها الغرانيق الضخمة المُفرّغة والممتلئة بالكبريت في داخلها وتحتها حطب جاهز للاشتعال وخلف العرش بحر عظيم سموه بحر القلزم، صوت الرياح شديد والصقيع على أشده ومع ذلك وقفت الحشود مسحورةً بذلك الرجل الذي حقق لهم الكثير والكثير، من أغرقهم في الملذات والجنس العلني من دون حدود، معتنقين مبدأه في حرية الإنسان في كل شيء، حرية مطلقة لا قيد لها، وقف قابيل في زيّه الذهبيّ الخالص كالشمس وبدأ خطابه إليهم بلسان شيطانهم وصوته يرتج له تاجه الضخم الحامل لريشتين مصقولتين من الذهب:

– يا معشر قابيل، أدرك أنكم تتساءلون كيف نشأ هذا الكون الفسيح؟ تتهامسون فيما بينكم وتصل إليكم القصص من هنا وهناك، ولأنني كبيركم سأخبركم..

[1]في البدء لم يكن هناك إلا ماء وضباب، ولم تكن حياة ولا نباتات، فقط طبقتان متلاصقتان من المياه بينهما فاصل فضي من نور، الجزء الأسفل من المياه هو (نون) المحيط الأزلي..

مياه وضباب وظلمة، الشمس لم تكن تكونت بعد..

على سطح المحيط الأزلي طفت (بيضة) ذهبية في حجم ألف بيضة من بيض النعام..

ثم حدث انفجار هز الكون كله، انفجرت معه تلك البيضة التي طفت على سطح نون، وخرج منها (أتوم) أول الآلهة، دفع الطبقة العليا فارتفعت وانفتقت عن الطبقة السفلى التي هي البحار، كانت الظلمة لا تزال مسيطرة فعطس أتوم فظهر الرب (تشو) رب الفضاء، وتفل أتوم فظهرت الربة (تفوت) ربة الندى، كان أتوم هو الخالق، خلق نفسه بنفسه، وبالكلمة خلق تشو وتفوت، ثم عاش الثلاثة في الظلمة ألف عام، ظل أتوم يراقب تشو وتفوت حتى قرر أن يخلق اثنين آخرين فكانت (نوت) ربة السماء و(جب) رب الأرض.

ابتسم قابيل بدهاء شديد فهو ينفذ مخطط الشيطان بكل دقة باستخدام تلك الكلمات المقدّسة التي أخضعت الشياطين لخدمته، يدرك جيدًا أنه الآن صار خادمًا مثاليًا للشيطان، متجاهلًا صحف أبيه آدم وما أُنزل عليه من كلام الله الخالق العظيم، ولكنه كِبر الإنسان حينما يقع في نفس خطيئة إبليس الأولى، أكمل قابيل حديثه الغارق في الكفر والناس مبرقي الأعين لما يسمعون:

– وأمر أتوم نوت أن ترفع السماء بعيدًا عن سطح نون ففعلت، ولما رأى أتوم زرقة السماء طلب من نوت أن تنيرها فصنعت قرصًا من ذهب ينيرها بالنهار وقرصًا آخر من الفضة تعينه مصابيح صغيرة تنيرها بالليل، وفجأة تحرك قرص النهار الذهبي وكانت له الكلمة وقال: "أنا رع رب الأرباب،

صارت لي الكلمة ولم تعد الكلمة لأتوم"، وفي الليل اهتز القرص الفضي وقال: "أنا خنصو إله القمر الشجاع".

ومن هنا صارت الكلمة لرع وتوارى أتوم، وأمر رع جب أن يُظهر الأرض حيث كانت متوارية في داخل نون، فكانت الزلازل والاهتزازات وانشقت الأرض وارتفعت وتشكّلت القارات والمحيطات بينها حتى استقرت الأرض تحت السماء.

تأمل رع كل ذلك فرأى أرضًا تحوي جبالًا ومرتفعات وبحارًا ووديانًا وسماءً تُزينها شمس بالنهار وقمرٌ ونجومٌ بالليل، تساءل: ماذا بعد؟ إنني محتاج للحكمة، فكان إله الحكمة تحوت.

قال رع لتحوت: إن منظر السماء صار جميلًا بالنهار وبالليل، وإن البحر جميل بحركته واضطرابه لكن منظر الأرض الجدباء لا يسرني فأين حكمتك يا تحوت؟

فقال تحوت: أيّ رع رب الأرباب، بما أنك فوّضتني بالكلمة، وبما أن الأرباب تخلق بالكلمة، فلتكن (حتحور) ربة الأنوثة وليكن (أبيس) ربًا للذكورة وليكن ذكر وأنثى في كل شيء.

وعاش الآلهة على الأرض لآلاف السنين يستمتعون بوديانها وجناتها ومياهها وحيواناتها، كل شيء في الأرض يتجدد بالموت ولكن الآلهة لا تموت، وهذا ما يُطلق عليه (عصر الآلهة)، أراد رع للآلهة أن تتناسل ولكنهم رفضوا إرادته خوفًا من أن يلحق بهم الموت الذي يرونه في الكائنات المتناسلة، استاء رع كثيرًا وخلق لنفسه ربة جميلة ساحرة تدعى(قمة الغرب) وقع في غرامها كل الآلهة، ولكن أتوم كان أكثرهم هيامًا بها فتزوجها وانجبا (بتاح وأتون وآمون وخِنم)، توائم

ملتصقة، فاغتاظ رع وبدأت الصراعات الشديدة بين أتوم ورع وانقسمت الآلهة إلى كليهما، واستغلوا قدرتهم على الخلق فخلقوا الشياطين والجن والمسوخ لتحارب معهم، حتى أقنع أتوم الآلهة أن تتناسل مثله.

فاقتنعوا وتناسلوا، ولكن أبنائهم جاءوا ملتصقين ذكر وأنثى كل منهما بأعضاء منفصلة ولكن بجسدين متصلين من الظهر، مما أعاق حركتهم وباتوا آلهة مُعذبة، هنا ملأت السعادة نفس رع فقد حقق ما أراد بخلقه لقمة الغرب وهؤلاء من رفضوا إرادته في البداية يعانون الآن من جراء عذاب أولادهم، لكنه امتلك الحل السحري.

تدخّل رع وقام بفصل الآلهة الملتصقين ففقدوا صفة الخلود ومن هنا جاء الإنسان ابن الإله بصفات أرضية أي أصبحوا قابلين للموت عكس الآلهة، فكنا نحن أبناء الآلهة، انتهى عصر الآلهة وبدأ عصر أبناءهم البشر، ولكننا نعتبر أنفسنا أبناء رع على الخصوص لأنه من قام بإيجادنا بإرادته وإن كان بعضنا ينتمي إلى أتوم نسبًا، وأصدقكم القول أنا آمون ابن أتوم أؤمن أن أبي الحقيقي هو رع، ستسألون:

– لماذا لم يتركنا رع متلاصقين خالدين كالآلهة من دون موت؟ أكان ينتقم؟

كلا، يا معشر الإنس، إن الحرية تستحق تلك التضحية، أتوم أراد لكم الخلود من دون متعة كرجل مُنح الخلود في غياهب جب سحيق. أما رع أراد لنا الحرية، المتعة، السعادة حتى وإن كان ثمنها الموت المؤجل.

لقد عشنا مع الآلهة لفترة ثم تركوا الأرض ورحلوا إلى

السماء بعد أن سئموا، لكننا نعيش ها هنا بعشق متجدد لهذه الأرض، عشق لا يشيخ، وبعيدًا عن أي شيء فإني أقول لكم إنكم أحرار خالدون التأثير، فافرضوا حريتكم على الأرض بأسرها يا أحفاد رع.

- يعيش الإله آمون ابن الآلهة.

- يعيش الإله آمون ابن الآلهة.

ضجت الساحة الكبرى بالهتافات العالية وامتزجت بالطبول، تلك الآلهة المزعومة هي نفسها بعض الكلمات الموجودة داخل البرديّة، كلمات تُخضع الشياطين، نجح الشيطان في خديعته الأولى على لسان خادمه قابيل القاتل الأول الممتلئ ظهره بطلاسم شيطانية بارزة ظهرت بغتة بعد اتفاقه الشيطاني كما حدث مع أخته عناق من قبل، زعيم الحرية المطلقة.

اشتعلت النيران أسفل التماثيل المجوّفة فاشتعل الكبريت ليُخرج نارًا من أفواه تلك الغرانيق حول تلك الساحة، تعالت دقات الطبول بقوة وسجد الناس لابن الإله، آمون، سجدوا لقابيل.

مرت العقود والبشر يتناسلون ويتكاثرون حتى صارت جيوشهم تحجب الشمس من كثرة أعدادهم.

وبدأت الهجمات الدامية على جيرانهم بعد وفاة أبيه آدم، تلك كانت إشارة البدء التي طالما انتظرها قابيل، كان يدرك جيدًا أن آدم كفيل بهزيمته ما دام موجودًا بين صفوف البشر.

انطلقت الحشود بعد تجهيزهم بالعتاد اللازم لحربهم الأولى

ضد بني آدم الشرفاء، ومن دون أسباب واضحة أصبح أحفاد آدم على حرب غير متكافئة وحالة من الفوضى والكر والفر من أولئك المهاجمين، أحفاد قابيل، من يهتفون:

– يعيش الإله آمون.

سيوفهم تقتلع الرقاب وتُسيل الدماء الطاهرة، وامتلأت البلاد ببحور من الدماء الشريفة، كاد بني آدم الأخيار أن يفنوا عن بكرة أبيهم ولكن تمكنت جماعات منهم من الفرار في عدة أقطار بعيدة، وكان بينهم (نقراويس) حفيد مصرايم ابن آدم، نجح في الفرار مع زمرته إلى أراضٍ ما وراء البحر، قضوا أيامًا بين الجبال والهضاب يبحثون عن وادٍ يصلح لعقد مجتمعهم الجديد حتى وصلوا لمجرى مائي عذب، هتف نقراويس:

– يا الله، كم هو بديع حقًا!

على حافتيه نبتت الفواكه والخضروات كأنه نهر يخترق جنة الله على الأرض، شعر نقراويس أنهم أول من وطأت أقدامهم هذه الجنة وأنها مكافأة الله لهم لصبرهم على ابتلاء أحفاد قابيل وكفرهم، نمى إلى مسامعه قبل عقود بعض الكلمات التي تلفّظ بها قابيل في خطبته الملعونة وقصته الكافرة عن نشأة الكون، للوهلة الأولى أدرك أن تلك الكلمات هي بعض ما جاء من حرز الأم الكبرى حواء، فقد كانت قصة سرقة عناق للحرز معروفة ومتوارثة لديهم، بل وأخبره أجداده ببعض تلك الكلمات، ولم يكن آدم قبل رحيل روحه في حاجة لنفي تلك الترهات قط، جل ما فعله هو الدعاء بالهداية لقابيل على الرغم من كل شيء، أدرك نقراويس مدى قوة تلك الكلمات لذلك كان عليه الفرار وعدم المواجهة

لمعرفته بوقوف الشيطان وجيوشه بجانب قابيل، لربما يأتي يومًا يحارب فيه أحفاده جيش إبليس بقوة وينتصرون عليه، لكن إلى أن يأتي ذلك الوقت عليه بتولي تركته من عبادة الله الواحد ونشر كلمة الله في الأرض وليبدأ من هنا، تلك الجنة، فليطلق عليها اسمًا يليق بها، فكر نقراويس في اسم حتى استقر على (مصر) نسبة إلى جده العزيز مصرايم، وكان البعض يطلقون عليها (كمت) أي الأرض الخصبة.

توالت الأجيال ونشأت مصر وبناها نقراويس وأحفاده، وفي نهاية اليوم الخامس أي خمسة آلاف عام أرضيّ ازداد الشر حولها، شر نابع من إمبراطورية أحفاد قابيل في بلاد عديدة المنتشر فيها الكفر ومتوارث فيها قصة النشأة المكذوبة للكون والآلهة المتنازعة حتى باتت حقيقة يتوارثها الأجيال...

مات نقراويس وقابيل ولم يمت الصراع بين الخير والشر، بين أحفاد الاثنين.

توالت الحروب بين الطرفين سجال ولم يدم الانتصار لأي منهما فتارة يغلب الخير وتارة الشر حتى جاء اليوم العاشر وقد مر عشرة آلاف سنة أرضية على وجودي في تلك البردية، أنا الكلمات السحرية، وسقطت مصر في أيدي أحفاد قابيل الذي هو آمون بالنسبة إليهم وانتشر الكفر في الأرجاء وعمت قصة الآلهة بين الأحفاد وبنى معبدًا ضخمًا من أحجار الجرانيت يُعبد فيه رع ورمزوا له بقرص الشمس وسط عاصمتهم الجديدة أمسيس، ومن تحته الآلهة الأخرى، التاسوع المقدّس، هكذا أطلقوا عليه ولكنني أعرف حقيقتهم، ما هم إلا تاسوع مُدنّس بالكفر، ما أنا إلا كلمات غيّر الشيطان

هدفها، وليس ذلك فقط فقد أطلق الناس على أطفالهم أسماء أبناء الآلهة في القصة، فتجد الناس يتوارثون أسمائهم بفخر واعتزاز.

توارث البرديّة سرًّا أحفاد قابيل الملوك الواحد تلو الآخر وكل منهم يعيش بطلاسم بارزة تغطي جسده.

في معبد الشمس وسط العاصمة جلس الكاهن الكبير البالغ من العمر ستمائة عام أمام تمثال رع العظيم ذو الرأس الذهبيّ ناظرًا في عينيه الجوهرتين الزرقاوين رافعًا يديه بالدعاء وفوق التمثال نافذة عُليا تظهر منها الشمس بقوة وتتعامد على وجه التمثال، وأمامه اشتعلت النيران مخرجة رائحة كالمسك تملأ المكان بأكمله، وقف أعضاء المعبد المقدّس يراقبون تواصله مع الإله، وبعد طول صمتٍ التفت إليهم سعيدًا ليزف إليهم الخبر العظيم:

– سيولد إله جديد يا أحفاد رع العظيم.

زُف الخبر إلى ملكهم المُلقب بالإله جب رب الأرض، فاهتز له قلبه فرحًا، لقد طال انتظار وريث عرشه وألوهيته لمئات السنين.

وبالفعل ولدت له زوجته أربعة أطفال في بطنين متتاليتين، ذكران وأنثيان، كان الملك يعشق زوجته بشدة ومع ذلك عاشر الكثيرات غيرها جنسيًا بحثًا عن وريث لمُلكه الكبير حيث كانت مصر هي الدولة الأم العظيمة في هذه الفترة.

وحضارتها تُنقل إلى البلاد التي في جوارها وتخضع لسيطرتها كليًا، وحين فقد الملك الأمل وظن أنه عقيم لا يُنجب فاجأته زوجته المُلقبة بالإلهة نوت إلهة السماء بأربع

أطفال في بطنين متتاليتين بعد بشرى الكاهن الأكبر من معبد آمون ابن الإله رع.

سماهم من البداية (أوزيريس - ست - نفتيس - إيزيس) أسماء أبناء الإله جب إله الأرض والإلهة نوت ربة السماء.

تيمنًا بموروثهم الديني القديم، ما يجهلون مصدره في هذه المرحلة ويظنون أنه الحق وأن تلك الأسفار المقدّسة مع الكهنة هي دينهم الوحيد.

كبر الأطفال وسلك كل منهم دربه المختلف عن الآخر، ترعرع ست شديد البأس والقوة حريصًا على التدريب على فنون الحرب بالرغم من جسده الرفيع ولكنه كان حكيمًا عاقلًا كما يصفه والده دائمًا، وأوزيريس على عكسه طيبًا هادئًا مفكرًا يشرد كثيرًا في الكون من حوله ولطالما سأل الكاهن الأكبر عن ماهية الأرباب وقصتهم ولم يقتنع بإجاباته ولكنه لم يفصح بذلك، كان أوزيريس رقيق القلب حنونًا على كل من حوله.

تزوج أوزوريس من إيزيس وست من نفتيس.

ذات يوم شعر الملك بدنو أجله وكان عليه أن يُسلّم سره إلى المُختار من بعده، من اختارته الآلهة وباركه رع، ابنه الأكبر أوزيريس ولكنه لم يفعل ذلك، بل أرسل إلى ابنه ست وانفرد به في مخدعه الملكي، كان له خطة أخرى، نهض ليفتح خزانته السريّة ويُخرج منها برديّته السحرية هامسًا لست وهو يناوله إياها:

– عزيزي ست، أعلم أنك تشتاق إلى حكم البلاد، كم تمنيت أن تكون أنت الملك والإله من بعدي ولكن عذرًا يا ولدي فكلمة

الآلهة هي العليا، سيحكم أخوك أوزيريس لا محالة ولكن لك عندي هدية ستجعلك قويًا فوق العالم أجمع، وستعوضك عن الحكم يا ابن الإله جب.

– أي هدية؟

– تلك البرديّة، حافظ عليها يا ولدي وسلمها لمن بعدك، إنها السبيل إلى استمرار قوتنا وحكمنا الخالد، تلك الكلمات بداخلها تُخضع الشياطين لخدمتك، استخدمها إذا عجز أخوك عن مواجهة المخاطر واستجلب جيوش الشيطان لتحارب معكما، كان عليّ أن أسلمها له ولكني سأقسم تركتي بينكما، سيكون العرش من نصيبه والبرديّة وكلماتها السحرية من نصيبك، ربما أكون مخالفًا لإرادة رع وجميع الآلهة ولكن عزائي الوحيد أن يتسيّد ابنَيّ هذا العالم بأكمله، فليغفر رع لي زلتي، والآن عدني يا ست، كونا أنت وأخيك جبهةً واحدةً أمام الأعداء إن وُجدوا، أنا لا أعلم متى يحين الرحيل ولكن وقتما جاء كونا يدًا واحدة.

أمسك ست البرديّة للمرة الأولى وعيناه تتوهجان، لقد آن أوانه، ليكون هو الإله الجديد، الإله ست، لم تكن نفسه تتوق فقط إلى إتباع الناس له وتبجيلهم لشخصه بل لأبعد من ذلك بكثير، قد بات يفكر بما فعله الرب رع بالرب أتوم، ما باله أن يصير هو الرب الثالث المُنتزع العرش من رع كما فعل مع أتوم، ليصير إله السماء والأرض، الإله البديل.

أحس بشيء يخترق جلده، نزع قميصه المُرصّع بالياقوت ووالده يبتسم، تلك الطلاسم التي تملأ جسد الملك منذ أن تلقى تلك البرديّة ممن سبقه ثُنحت على جسد ابنه ست،

وريث القوة الحقيقي، نظر ست في مرآة الملك الكبرى ورأى تلك الطلاسم البارزة على جسده، التف ونظر ناحية والده، أدرك أنها اللحظة المناسبة، اقترب من والده الملك ومد يده ليخنقه وينهي حياته في الحال، لم يصدق الملك في لحظاته الأخيرة قسوته، تساقطت دموع ست وهو يُقبّل وجنته بعد مفارقته للحياة:

– عذرًا يا أبي العزيز، فلدي أنا أيضًا خططٌ أخرى.

- 5 -

اليوم السادس والثلاثون

بيت البساتين - الخامسة مساءً

– هل لديكِ اتهام مباشر لأحد؟

سألها الرائد فخر الدين في صالة منزلها ببيت البساتين، فقد عادت شهرزاد في الرابعة عصرًا لتتناول غذائها مع والدها كالمعتاد ولكنها لم تعثر عليه وتعجبت كثيرًا حينما لاحظت نقطة دماء فوق مكتبه واختفت أوراق كتابه الأخير وسجادة الغرفة، اتصلت على هاتفه لتعثر عليه في نفس الغرفة، اتصلت بالشرطة مترددة، وأسفرت المعاينة الأولى بعدم وجود أي كسر في الأبواب أو النوافذ ولم يُسرق أي شيء غير السجادة، تنهدت شهرزاد بقلق بالغ تجيبه:

– لا، أبي ليس لديه أي أعداء.

– لماذا تعتقدين إصابته بسوء؟ قد يكون خرج لقضاء حاجة ما.

– قلبي يُحدثني أنه في أزمة كبيرة.

– عامةً لقد قمنا بعملنا وسنُبلغك بأي جديد.

تركها وهمّ بالخروج وأشار إلى رجاله ليرحلوا معه، توقف عند باب البيت وعاد أدراجه، سألها:

– سيدة شهرزاد، ما محتوى كتاب والدك الأخير؟

– لا أعرف.

– أمعقول هذا؟

– لا أقرأ كتب والدي إلا بعد أن ينتهي تمامًا من تأليفها وتنقيحها.

– ما عنوان الكتاب؟

– التاريخ المُحرّم.

– التاريخ المُحرّم، اسم جذاب ومثير للجدل كعادته.

حياها فخر الدين وخرج، تركها فريسة لاحتمالات لا تنتهي، إنها المرة الأولى التي يغيب فيها والدها منذ خمسة وعشرين عامًا، ترجلت ناحية صورته على الحائط، تساقطت دموعها خوفًا من فقدانه، ذلك الشعور السخيف الذي طالما راودها، فقدان والدها وسندها الوحيد، لم تتخيل حياتها من دونه حتى وإن كان مشغولًا دائمًا بأبحاثه وقراءاته ومؤلفاته، لكنه في النهاية حولها، معها، يفيض حنانه على صخور حياتها لتستقر معه أمواج روحها المضطربة منذ زمان بعيد.

همست متأملة صورته المُعلّقة:

– لن تتركني هكذا، أين أنت يا أبي؟

في المساء، كان كل شيء ساكنًا سكون الموتى، طل القمر الغير مكتمل من نافذة غرفتها على استحياء ليرسل ضياءه الضعيفة لتنير بقعة صغيرة أمام مكتبها، جلست شهرزاد صامتة في الظلام غارقة في دوامات قلقها المتزايد منتظرة ظهور والدها وعودته بين الحين والآخر.

أمسكت دميتها الصغيرة، تلك رفيقتها منذ أكثر من ستة وعشرين عامًا، آخر ما أهدته إليها أمها التي ما زالت تتذكرها

جيدًا.

احتضنت الدمية وأغمضت عينيها مضطربة.

غفوت شهرزاد وكأنها تهرب من مأساتها المرتقبة بالنوم كما كانت تفعل طوال عمرها.

ظلام دامس وسكون لا يتخلله غير صوت عقارب الساعة التي هي بحجم الكون، يتردد بشكل رتيب مستمر، يتداخل معه صوت زخات المطر على نافذتها، شهرزاد واقفة في ممر اسطواني طويل مُتخيّل داخل رأسها، هكذا ترى نفسها في غفوتها، تبكي، صوت بكاءها وأنينها يعتصر قلبها رعبًا، تكورت في مقعدها وانكمشت ولكنها لم تفق، شيء ما يجذبها داخل تلك الأسطوانة المجهولة، ذلك المكان التي تعرفه جيدًا في كوابيسها، صوت موسيقى السيرك المعروفة تعلو، ضوء يتعالى على وجهها، فجأة ترى شهرزاد نفسها طفلة بنت ثماني سنوات، تقترب منها، تتلمسها، تبتسم لها، الطفلة تبكي هي الأخرى، يظهر رجل وجهه كبهلوان مبتسمًا ويقترب من شهرزاد الطفلة، ترتعد وتتراجع إلى الوراء، تعلو موسيقى السيرك، تتحول ملامح وجهه إلى الغضب، يمسكها من يدها بقوة، تقاومه شهرزاد الطفلة، يجرجرها، يقف بها على مدخل حجرة بابها موارب، تقف خلفه شهرزاد وتلاحظ ما يجري خلف باب تلك الغرفة، غرفة جدتها رمزية منذ سنين طويلة، ترى أمها في الداخل نائمة على فراش جدتها، رسوم بلون الدم على الحائط، نجمة خماسية، وكلمات لا تفهمها، عصا طويلة مرسومة بجانب النجمة الخماسية عرفتها شهرزاد فيما بعد، إنه شعار ست إله الخراب والصحراء عند القدماء، شموع

صغيرة متناثرة في أنحاء الغرفة تتوهج وهي مصدر الإضاءة الوحيد، ترى شهرزاد كل شيء بوضوح، كابوس متكرر ولكنه حدث بالفعل قبل خمسة وعشرين عامًا، مدت الجدة يدها وأحاطت برقبة أم شهرزاد، ضغطت بكل قوتها تخنقها، حاولت الأم الخلاص من تحت يدها القاسية ولكن حركتها سكنت بعد لحظات معدودة لتُعلن شهرزاد يتيمة الأم، قتلت جدتها رمزية أمها بدم بارد من دون أسباب واضحة لها حتى اللحظة، فتحت شهرزاد الطفلة الباب الموارب وتلاقت عيناها بعينَي جدتها رمزية، تلك السيدة البدينة القاسية القلب، اقتربت منها بهدوء، جرجرتها على مرحاض بيتهم القديم.

– تعالي يا شهرزاد، تعالي.

لم تقاومها شهرزاد الطفلة، فقط كانت تبكي بشدة من هول ما رأت وكأنها في حالة صدمة لا تُقارن، متسائلة في ذهول:

– كيف يتحول حضن الجدة الحنون من جنة إلى جحيم بطرفة عين؟

تحركت معها مستسلمة ووجه أمها الجاحظة العينين لا يفارق ذاكرتها، جلست عارية في مسبح المرحاض وجدتها تسكب عليها المياه الدافئة حتى امتلأ المسبح بالماء، البخار يملأ المكان بشدة، شموع في كل مكان، ونفس الرسومات على الحائط، نجمة خماسية وتلك العصا الطويلة ذات الرأس الشبيهة برأس الغراب مرسومة بجوارها وبعض الكلمات غير المفهومة تشبه الطلاسم، الجدة رمزية تتمتم بكلماتٍ لا تفسرها شهرزاد، تهتز مرتعشة، تمسك رأس حفيدتها وتقوم بتغطيسها عنوة في المسبح، تصبح شهرزاد الطفلة تحت

الماء كليةً، يتسرب إلى رئتيها وهي تقاوم بطفولة ضعيفة، يدان قاسيتان تقودها نحو الموت بنجاح شديد، نفس الممر الأسطواني تدخل فيه شهرزاد الطفلة والماء يتساقط منها وترى والدتها تصرخ في داخله ولكنها لا تسمع صراخها، تقاوم الطفلة أكثر، تزداد قسوة الجدة، لقطات سريعة تراها شهرزاد وكأن روحها تتنقل بين أماكن متعددة في سرعة شديدة، رأت أناسًا حليقي الرؤوس في مكان تحاوطه الرسوم المبهرة يقطّعون شرايينهم ويتساقطون موتى، تختلط دمائهم، صوت دقات طبول عالية يتردد، ترى شابًا مفتول العضلات في زيّ يتلألأ وعلى رأسه تاج ذهبي على شكل صقر، تقاوم شهرزاد الصغيرة جدتها، والدتها تصرخ في الممر الأسطواني، تسمعها شهرزاد، صوت عقارب الساعة مستمر، صوت زخات المطر يتداخل مع أنين شهرزاد، ينفتح باب المرحاض ويدخل الأب كاظم بغتة وينير الضوء ليدفع الجدة رمزية بقوة متناهية ويطرحها أرضًا ليُخرج شهرزاد من المسبح ويتأكد من نجاتها من تحت أنياب تلك المجذوبة العجوز ويحتضنها صارخًا:

– شهرزاد، شهرزاد.

تحتضنه الطفلة وهي تنظر ناحية جدتها رمزية الساكنة، عيناها زائغتان والدموع تتساقط منهما.

***

تقف شهرزاد الطفلة في رواق طويل ممسكة بيد والدها بعد عدة أيام تحتضن دميتها، يتحركان ويقفان من جديد أمام غرفة داخل مصحة العباسية للطب النفسي، ترى جدتها لآخر مرة جالسة على فراش أبيض في غرفة متآكلة

الجدران مطلية بلون زيتيّ باهت شاردة صامتة بعد أن فشل المحققون في استجوابها، تلاقت أعينهم للمرة الأخيرة، خرجت بعدها شهرزاد لتدفن أحزانها في أحضان والدها، هجرا بيت جدتها وابتعدا، بدأ كاظم حياةً جديدةً لم يكن فيها غير ابنته وأبحاثه التي سرقته كثيرًا من تلك الفتاة اليتيمة، شهرزاد، رفض أن يتزوج وبقى معها حتى اختفى الليلة، انفتحت نافذة غرفة نوم شهرزاد فصحت من غفوتها منسحبة من فيضان ذكرياتها الحزين.

ضوء النهار يتسلل عبر النافذة، نهضت سريعًا وخرجت تبحث عن والدها في كل أرجاء البيت وكأنها لا تصدق اختفائه، لم تعثر عليه، وقفت والدموع في عينيها، يهالها ذلك الإحساس المرير بغيابه.

ارتدت شهرزاد ملابسها وخرجت لعملها، لم تعتد يومًا الغياب مهما كانت الظروف، والدها بنفسه أوصاها بالذهاب إلى عملها صبيحة يوم وفاته المستقبلي.

– لا شيء في الدنيا غير العمل ينسيك الهموم يا حبيبتي.

تحت سماء محتقنة ممتلئة بالسحب المتراكمة وأمطار غزيرة لا تتوقف استمرت أعمال الحفر والتنقيب في صحراء الجيزة في موقع حددته هيئة الآثار لاستكمال مسلسل الكشف عن آثار القدماء، استمر العمال في أعمالهم اليومية بحماس لا ينضب ضاربين بالظروف الجويّة عرض الحائط مرتدين ستراتٍ من البلاستيك المقوى تقيهم الأمطار، لافتة كبيرة مكتوب عليها (وزارة الآثار - ممنوع الاقتراب أو التصوير - منطقة عمل)

تصل شهرزاد إلى موقع التنقيب بعد أن عثر العمال على بئر عميق وجهزوا جوانبه بحوامل خشبية استعدادًا لسبر أغواره العميقة تحت إشراف السيد فاروق رئيس بعثة الآثار ومدير متحف الحضارة الجديد، استقبلها فاروق متوترًا وسألها عن أخبار والدها بعد قراءته لخبر اختفائه في الصحف الصباحية وردت شهرزاد باقتضاب:

– لا جديد.

بدأت عملها على الفور.

أمسكت شهرزاد بالحبال المُعلّقة على بداية البئر وانزلقت إلى أسفل مرتدية حول رأسها إطارًا دائريًا في مقدمته مصباح منير، عشرة أمتار إلى الأسفل، هبطت شهرزاد في حذر شديد حتى وصلت إلى القاع، وقفت على أرضية البئر الصخرية تتفحص ما حولها من جدران صخرية صماء، في جانب البئر مجموعة من مومياوات صغيرة يبدو أنها لقطط وأخرى كبيرة عرفت شهرزاد أنها لحيوان العجل من هيئة المومياوات، العجل أبيس، أنها مقبرة حيوانات مقدّسة، مدت يدها بحذر تفحصهم، عثرت على عدد من البرديّات القديمة المكتوبة باللغة الهيراطيقية، فتحت إحداها، برقت عيناها، أوراق مرسوم في جانبها شعار الإله ست، صولجان واس.

***

في غرفة الجدة رمزية الجالسة على فراشها في مصحة العباسية للأمراض النفسية والعصبية بعد مرور أكثر من خمسة وعشرين عامًا شاردةً لا تتحدث على نفس حالها منذ يومها الأول في هذه المصحة، فقط ازدادت تجاعيد وجهها

بضراوة وانغرزت عيناها إلى الداخل كمغارتين مظلمتين في جبل بالي، ارتسم شعار الإله ست خلفها، صولجان واس على حائط غرفتها بدمائها، نرى الدم ظاهرًا على معصمها، يبدو أنها جرحت نفسها لترسمه على الحائط، تتنهد، تتخذ قرارًا ما، تنهض، تتحرك ناحية كرسي جانبي، تسحبه للمنتصف، تقف فوقه، تضع رقبتها في حبل مُعلق في منتصف الغرفة كالمشنقة، تبتسم، تُحرر قدميها وتتعلق برقبتها في المشنقة لتسكن حركتها بعد لحظات مبرقة العينين ميتة، تتطاير ورقة كانت على فراشها بفعل هواء خارجي عبر النافذة، تقع الورقة تحت قدميها، ورقة مرسوم عليها بخط يدها شعار الإله ست، صولجان واس.

- 6 -

اليوم العاشر

مدينة الإله آمون

ترجّل ست في أروقة المعبد الشرقيّ الجديد المُشرف بنفسه على بنائه، انخرط العمال في صنع نسخًا متكررة من تمثالٍ جديدٍ لم يعرفوا كينونته حتى اللحظة، جسد رجل رفيع له رأس حيوان أسطوري بأذنين مثلثتين مقلوبتين ومنقار كبير وكأنه خليط بين الغراب والذئب والحصان.

صنعوا منه أعدادًا كبيرة وطلب منهم السيد ست ابن الإله جب الراحل ورئيس البلاط الملكيّ أن يُعجّلوا بإنهاء مهمتهم سريعًا.

اعتلى أوزيريس عرش البلاد بعد موكب جنائزي مهيب لوالده الإله جب وسط مباركات ست متظاهرًا برضاه عن انتقال قدسيّة الآلهة إلى أخيه.

جلس ست على مقعد ذهبي كبير في الغرفة الكبيرة داخل المعبد الشرقيّ مجتمعًا مع صفوة رجاله ماعدا كبير الكهنة وحامل أختام الملك السيد (ختمتي) الشديد الوفاء لأوزوريس، تابع ست معهم مجريات الأمور وما آلت إليه الأحوال، سألهم بعد برهة من الصمت:

– أخبروني عن شموس الليل أيها السادة.

أجابه أحدهم:

– مولاي ست العظيم، لقد اقتربنا من بناء الصرح الكبير

وجهزنا مئات من أعمدة الجرانيت الكبيرة، ليس فقط في مدينة الإله آمون بل في كل مدن مصر، وكلفنا البناءون بتنفيذ مخططكم لبناء صروح أخرى بحيث تُغطى كل المدن بشموس الليل.

– منذ اللحظة الأولى التي عرض عليّ فيها رئيس الصروح في مدينة نخن السيد إميرا ساو تلك الفكرة وأنا أحلم برؤيتها حقيقة رؤى العين، أربعون عامًا وأنتم تعملون بكل جهدكم ولا زالت النتيجة مجهولة.

– التجارب تُبشر بكل خير يا سيدي.

تنهد ست، أشار إليهم بالانصراف واستمرار العمل على قدم وساق.

في الصباح تحرك في موكبه الكبير ناحية موقع الصرح الجديد الهرميّ في ناحية أطراف العاصمة الغربية، غرب النهر العظيم.

لقد اقترب البناءون من إنهاء بناء الهرم كاملًا وهم الآن يقومون بتغطيته بالأحجار العازلة، كانت الفكرة العبقريّة تتضمن العمل على إنتاج شموسًا صناعيّة.

أجريت التجارب الكثيرة حتى وصلوا إلى فكرة توليد طاقة هائلة عن طريق مياه النهر المندفعة في الصرح الهرميّ الكبير واستخدام بعض علومهم القديمة التي توارثوها من الآلهة لانتقال تلك الطاقة من الهرم إلى مصابيح صغيرة أشبه بمشاعل النار عبر أعمدة الجرانيت الضخمة المنتشرة في كل مكان بشكل هوائي غير مرئي.

حُفرت الأراضي ووُضعت توابيت السيرابيوم المُحكمة الغلق على مسافات متباعدة بين كل مدينة وأخرى تحت الأرض لتكون عوازل أرضية لكمّ الطاقة المُرتقبة بانطلاق تلك التقنية الجديدة.

وقف ست أمام الهرم الكبير مبرقة عينيه في شغفٍ هائل تحت تلك الشمس العليا في السماء وكأنه يحدثها ساخرًا:

– الوداع يا رع.

انشغل أوزيريس بنشر العدل بين رعاياه وبناء الدولة فأحبه العامة وهابه أعدائه ممن يطمعون دائمًا في الأراضي الشاسعة لمصر طوال العقود الماضية، وانخرط ست في خطته البعيدة المدى، وأُعلن انتهاء العمال بعد خمسين عامًا من بدأ بناء الأهرامات مولدات الطاقة وأعمدة الجرانيت وجاءت التجربة الأولى بعد غياب شمس عيد الإله آمون.

دُقت الطبول واجتمعت الحشود أمام صرح الهرم الكبير، تقدّم الحشود الكهنة المائة والثلاثون، كهنة مصر آنذاك وبينهم كبير كهنة آمون، وخلفهم كبار رجال المملكة في انتظار موكب الملك أوزوريس وسط المشاعل الناريّة، أُعلن قدوم الملك بإيقاع طبول متلاحق فظهر موكبه فوق عربة ذهبية تجرها الخيول تُثير الرمال وفي جواره زوجته إيزيس الساحرة الجمال وفي عربة مجاورة يجلس أخوه ست رئيس البلاط الملكي وزوجته نفتيس ليشقوا الطريق بين جنود المملكة المؤمنين لممر نحو العرش الذهبي بالقرب من هيكل الشمس وتمثاله الكبير خارج الهيكل.

تراءى لأوزيريس على مدى البصر شعبه العظيم، أفضل

شعوب الأرض كما يحب أن يناديهم دائمًا، أسعده كثيرًا ذلك التقدّم الحضاري الذي وصلت إليه مصر في عهده وتلك التقنية المُشرفة على الانطلاق لتضيء العالم أجمع وتغيّره.

– مولانا الملك المُعظم ابن الإله جب الملك أوزيريس.

تلاحقت دقات الطبول تحييه في جو مهيب مُفرح، انحنى له الجميع، تبعه ست خلفه في صمت مُطبق بعينين ثائرتين متآمرتين.

القمر ينتصف السماء الخالية من أية سحب مُحتملة والنجوم تزينها في كل الأرجاء..

جلس الملك على عرشه الذهبيّ وجلست في جواره إيزيس وأشار بعدها بإشارة البدء فانطفأت كل المشاعل وساد الظلام لدقيقة كاملة وكف ضاربي الطبول عن دقاتهم المتتابعة.

أشار ست إلى مساعديه فانفتح باب صلب كبير يُغلق مجرى مائي حفروه من النيل إلى الصرح العظيم فاندفعت المياه بقوة الجاذبية نحو الصرح ودخلت من ممره الصغير ذي المائة متر طولًا وتدفق نحو الغرفة السفلية التي جُهزت أسفل الهرم على شكل مضخة مائية فارتطمت المياه في سقف الغرفة وأحدثت اهتزازًا صوتيًا لينتج صوتًا كبرتْه الممرات العلوية واستغلت الطاقة الصوتية تلك في نفس توقيت ضخ غازًا كيميائيًا لتوليد طاقة كهربائية اشتعل لها قمة الهرم لتشع ضوءًا أضاءت به كل أعمدة الجرانيت على مدى البصر وتلك المصابيح الصغيرة المنتشرة على جانبي الطريق الرئيسي في مدينة الإله آمون مرورًا بين البيوت المبنيّة من الطين المحروق حتى القصر الملكيّ الكبير المبني من سبائك ذهبية

في نهاية الطريق.

هلل الناس فرحين:

– يعيش الملك أوزيريس.

لقد نجح ست بمساعدة رئيس الصروح في مدينة نخن السيد إميرا ساو في خلق شموس صناعية ليلًا تغنيهم عن المشاعل النارية، انطلقت المعازف الملكية مُعلنة بدأ الاحتفال بعيد الإله آمون بترتيلات مهيبة لنصوص آمون في شكل استعراضي مبهر.

– المجد لك يا آمون في الأعالي، يا ابن الإله رع.

التفتت إيزيس ناحية ست والتقت أعينهما، ارتعدت من نظرته تلك العلنيّة المتحرشة، لقد سئمت تلميحاته ومطاردته لها ولولا أنها تخاف على العلاقة بين الأخوين لأخبرت أوزيريس بكل ما تشعر به حيال نظرات ست المتفحصة لكل شبر في جسدها.

***

عقد ست جلسةً طارئةً في اليوم التالي في المعبد الشرقيّ مع كبار مواليه وكان عددهم يقترب من اثنين وسبعين رجل من جميع عموم الدولة، حدثهم لأول مرة بجرأة متناهية وصرح لهم بسرٍّ يؤرقه لأيام ولم يعد له مكانًا داخل صدره، صمت برهة ثم أردف غاضبًا:

– إن الملك أوزوريس طلب من زوجتي نفتيس أن تضاجعه، رفضت غاضبة ولجأت إليّ في حيرة، ذهبتُ إليه أؤنبه فركلني بقدمه مستهزئًا بي، وقال لي: أنا الملك أشتهي

من أشاء من نساء هذه البلاد، إن قلبي يتمزق وأنا أصرح لكم بحقيقة أوزيريس وكنت قد نويت أن أخفيها في صدري ولكنني اكتشفت أمرًا آخرًا انقطعت معه كل الروابط بيني وبينه.

صمت ست للحظات قبل أن ينطق بها متأثرًا:

– اعترف لي أحد الخدم في القصر الملكي، أن أوزيريس قتل الإله جب والدي ليسطو على الملك.

بُهت أعضاء مجلسه وشب الغضب المنافق في قلوبهم، أقسموا على معاونة ست فيما يريد.

اكتملت المؤامرة بمباركة كبار رجال الدولة وأعلنوا دعمهم السريّ المطلق لست وقراراته، حتى اللحظة لم يُخرج ست البرديّة المتوارثة من جُعبته، الآن يحتاج إليها، جاء أوان تحقيق حلمه واستكمال خططه الطويلة المدى.

في المساء أعلنت إيزيس لزوجها الملك حملها الأول، باتا في سعادة ورغد لا يُقارنان.

في الصباح الباكر أصدر ست أوامره للكهنة بالابتعاد عن هيكل الشمس بأكمله ونفذوا أوامره بتعجب شديد تحت حراسة جنود من القصر الملكيّ، ولكن رئيس الكهنة تسلل ليخبر الملك أوزوريس بمخاوفه، فأحد الكهنة سرب إليه خبر لم يصدقه، لقد انتوى ست رئيس الديوان الملكيّ هدم معبد الشمس.

شق ست طريقه ناحية هيكل الشمس على رأس موكب مهيب ودخل المعبد بمفرده، أُغلقت الأبواب خلفه، ترجل

ناحية تمثال رع المجوف المُتعامد على وجهه الشمس من الأعالي، تمثال ضخم أمامه درجات صعدها حتى بات في منتصفه، فتح باب الكهانة، ذلك المكان المقدّس داخل التمثال، مقعد من الذهب هو الأقرب إلى السماء، كما كانوا يعتقدون، لا يدخله غير كبير الكهنة ليدعو الآلهة ويستجدي رضا رع على البشر.

جلس ست بعد أن أغلق الباب واختفى كليةً داخل التمثال، ظلام دامس غرق فيه ست، أخرج البردية من جيبه تلك الحاوية للكلمات السحرية، ما زلث في داخلها أراقب ما آلت إليه أحوال البشر، تلك الكائنات المتمردة المدعيّة الذكاء وما هم كذلك أبدًا فقد نجح الشيطان في إغوائهم أجمعين.

أشعل ست مشعلًا ناريًا أحضره من ساحة الهيكل فقد كانت المصابيح تجربة لم تُعمم بعد في كل أرجاء المدينة، بدأ في تلاوة تلك الأسماء والكلمات الواردة في داخل البرديّة ليجلجل صوته داخل تمثال رع، انتهى من تلاوة البرديّة والخمسمائة كلمة التي تحتويها، ساد الصمت المريب، انتظر ست في ترقب، بعد دقائق معدودة انطفأت شعلة النيران وجاء صوت من الفراغ ارتج له قلب ست، صوت أجشّ:

– يا قارئ الكلمات، الخير أم الشر؟

اقتنص ست فرصته التي طالما انتظرها وأجلها حتى موعده هذا:

– لا يهم أكان خيرًا أم شرًا.

– الخير أم الشر؟

– الخلود، الخلود.

قالها ست مبرقة عينيه متوجسًا، لحظات كعقود طويلة قطعها صاحب ذلك الصوت الأجشّ:

– هل تريد تجنب شر الشياطين؟ أم تريد معاونتهم؟

– من أنت؟

– أنا خادم تلك الكلمات.

– من الجن أم الشياطين؟

– أنا خادم تلك الكلمات.

– ماذا إذَن؟

صمت متبادل، أعاد بعده صاحب الصوت سؤاله:

– هل تريد تجنب شر الشياطين؟ أم تريد معاونتهم؟

– العون.

– أنك مُخيّر في الدنيا ولكن عليك أن تعلم أنك ستدفع ثمن اختياراتك يومًا ما.

– العون.

رددها ست بإصرار واضح، ساد الصمت كثيرًا، ظن ست أن طلبه قوبل بالرفض، انتابه التوتر الشديد، لم يخبره والده بذلك، أيمكن أن تكون تلك البرديّة من دون قيمة؟ شق أفكاره المتصارعة صوت آخر ارتج له التمثال من قوته وكأن له صدًى هائلًا لصوته، صوت أشبه بفحيح الأفعى، امتلأ المكان حوله بضوء ناريّ واشتم رائحة احتراق ملئت أنفه:

– أيها الطالب، يا من قرأت الكلمات واخترت شر العالم، لك

مني ما طلبت.

– أنت!

– الشيطان الكبير، إبليس.

قالها صاحب الصوت وظهر بغتة ناظرًا إلى ست في عينيه، وكأن ذلك الحيز الضيق داخل التمثال قد تحول إلى ساحة شاسعة لا نهاية لها على مدى البصر من النيران المشتعلة، حتى الكرسي الذهبي تحول لكتلة من النيران ولكنها لم تحرق ست على الإطلاق، شعر بالخوف ولكن الشيطان طمأنه.

– أحقًا هذا؟

– لك مني كل العون يا ست، أخبرني عن أحلامك.

الشياطين تلك المخلوقات الخارقة التي خلقتها الآلهة لثعينها في الحروب فيما بينها في ذلك الصراع القديم بين أتوم ورع، هكذا يعرف ست.

دقق ست في العالم من حوله، نهض واقفًا وتحرك، اخترق النيران ولم يحترق، كان تأثيرها على جسده كأشعة شمس الإله رع، دافئة، نظر إلى الكائن المعلق بجناحيه الضخمين وسط النار، جناحان بديعان يتوسطهما رجل عملاق وسيم أزرق العينين، تدلى شعره الأسود على كتفيه متساقط منه قطرات من الدماء، قدماه كأقدام الطيور نحيفتان، ضم الشيطان جناحيه واقترب من ست مبتسمًا، كرر كلماته:

– أخبرني عن أحلامك.

برقت عينا ست، لقد آن أوان ما حلم به لعقود طويلة وسعى لتحقيقه، أردف:

– أريد أن أصير إلهًا جديدًا للبشر بديلًا عن رع الذي انبثق بديلًا عن أتوم.

قالها ست مندفعًا، فضحك الشيطان ضحكات هادئة:

– أتقول هذا وأنت في حضرة رع؟

– قالها رع وهو في حضرة أتوم وكان له ما طلب، وأنني الآن في حضرتك أنت أيها الشيطان الكبير، يا زعيم محاربي الآلهة أنفسهم.

صمت الشيطان لدقيقة كاملة، أخذ يفكر ثم نظر إليه متخذًا قراره:

– لا، لا يمكن هدم جميع ما سبق.

– ولكن..

– ولكن يمكنك أن تكون أحد الآلهة الخالدين في حضرة رع.

– كيف ذلك؟

سأله ست بضيق فأجابه:

– ألا تموت، وإن مُت بجسدك فروحك باقية أبد الدهر.

– تلك صفات الآلهة.

– وأنت ستصير منهم يا ست، سأمنحك شيئًا لم يُمنح لأحد من قبلك.

– الخلود، ذلك ما كنت أريده.

– عزيزي ست، ستعيش عمرًا، وإن باغتك الموت لأي سبب من الأسباب، فيُمكن لروحك أن تعود للدنيا مرة أخرى ولكن

ذلك بشروط.

– أية شروط؟

– أن تُقرأ الكلمات في تلك البرديّة وتُقدّم القرابين البشريّة من أجلك، قرابين الدم المدنّس.

– دم مدنّس؟

– أصحابها يقترفون الخطايا ولا يبالون.

ومن يفعل ذلك هو أحد ورثتك، من أوكلته بحفظ البرديّة من بعدك مهما طال الزمان، حتى بعد آلاف الأعوام، إن فعل أحد الورثة ذلك ستعود روحك الكامن فيها الشر المطلق، ولكن على الوريث آنذاك أن يُقدّم نفسه قربانًا أخيرًا ويقتل نفسه في حضرة جثمانك.

– جثماني؟

– عليك بضمان حفظ جثمانك هذا بعد موتك، فمن دونه لن تعود روحك أبدًا.

برقت عينا ست بعد أن نال أكثر مما تمنى هامسًا:

– الخلود.

***

أيام متتالية انقلبت فيها البلاد رأسًا على عقب، اختفى الملك أوزيريس بغتة بعد مأدبة عشاء على شرفه مع كبار رجال الدولة دعاه إليها أخوه ست رئيس الديوان الملكيّ، بخيانة جماعية سريّة اقتاد الخائنون الملك إلى صندوق من الجرانيت صُنع خصيصًا ليكون تابوته ومعبره نحو عالم

الأموات حماية لمصالحهم المشتركة مع ست المُحرض لكل شيء بحجة القضاء على من قتل أبيه واعتدى على زوجته نفتيس، ودع ست أخيه المُحكم وثاقه في نظرة أخيرة بوجه خالي من الرحمة والشفقة وأُغلق فوقه غطاء التابوت وصُب سائل من رصاصٍ ذائب داخل التابوت ليموت أوزوريس في الحال متحجرًا داخل التابوت، حُمل التابوت إلى عرض النهر العظيم على مركب صغير في أثناء الليل وألقوه في قاع النهر ليغيب أوزيريس إلى الأبد.

أُعلن ست نفسه ملك على مصر في غضون أيام بعد إعلان زائف بموت أوزيريس في حرب ضد الأعداء وضياع جثمانه في ساحة الحرب.

احتجز ست الزوجة إيزيس في جناحها الملكي وعيّن عليها جنوده يحرسونها ويمنعونها من الخروج، وقف ست على بابها قبل أن يُفتح له على مصراعيه ليدخل المنطقة التي كانت مُحرّمة قبل موت أوزيريس، إيزيس أروع ما خلقته الآلهة من بشر، لم ينس ست أنه قضى سنوات طويلة من عمره يعاني من جراء قرار والده جب بتزويجها من أوزيريس بدلًا منه، لقد كان يحبها بجنون، يعشق لفتاتها وضحكاتها، ذلك الهواء الخارج من رئتيها تتنفسه كان أبلغ أمانيه أن يشعر به عن قرب، تلك الشفتين الحمراوين المتلألئتين تحت عينين ساحرتين خطفتا قلبه وأقسم أن يعتصر عسلهما يومًا ما مهما كانت المصاعب.

صوت الرياح يتردد في مخدعها، صمت مريع سبر ست أغواره وأغلق الباب من خلفه، تقدّم ناحيتها، ونظر في عينيها

في عشق شديد:

– سنتزوج يا إيزيس، سنتزوج مع عيد الإله آمون القادم.

– ذلك حلمك ولكنه كابوسي العظيم.

– أنا أحبك، لماذا لا تفهمين ذلك؟ ألا تشعرين بي وبقلبي؟

– وهل لديك قلب يا ست؟ تطلب الزواج من زوجة أخيك بدلًا من أن تواسيها في موته.

– فعلت كل ذلك من أجلك يا إيزيس.

– ماذا فعلت؟

تحرك ست أمامها مترددًا، التفت إليها وأقترب ناظرًا في عينيها:

– قتلت أوزيريس لأنال ذلك الجسد البض.

مد يده على نهديها واعتصرهما بقوة وشهوة ولكنها دفعته للخلف بكل قوتها، صرخت إيزيس في وجهه بعدما أمسكت سكين الفاكهة الصغير وأشهرته في وجهه:

– ستدفع ثمن خيانتك تلك يا ست.

تركها ست مبتسمًا وخرج، كان يعرف جيدًا أنها لن تقاومه كثيرًا، إن حبه بمثابة طوق النجاة الوحيد لها لتبقى ملكة على عرش مصر في جواره وإلا فقدت كل شيء وهو يعلم أنها تعشق السلطة والبهرجة، يعرف شخصيتها جيدًا ولذلك أدرك أنها ستوافق في النهاية وحتى يأتي حين عيد الإله آمون سيتركها لتهدأ وينشغل هو بتجهيز مراسم الزواج.

في نفس الليلة تمكنت إيزيس من مغافلة الجنود بمساعدة

كبير الكهنة السيد ختمتي داخل عربته المغلقة وانطلق بها بعيدًا عن مدينة الإله آمون، وقف ليودعها تحت ضياء القمر في الثلث الأخير من الليل والصقيع يزداد على أشده:

– الوداع يا إيزيس، أيتها الملكة الجميلة.

– سأعود يا ختمتي، مهما طال الزمن سأعود.

قبّل رأسها وانطلقت هي جريًا واختفت وسط أقصاب النيل.

في الصباح أدرك ست هروبها وأرسل جنوده في كل أرجاء المدينة ولم يعثروا لها على أثر.

بات كالمجذوب غاضبًا بعد أن تحطمت كل توقعاته على صخور عنادها، همس لنفسه:

– ستعود، حتمًا ستعود.

- 7 -

اليوم السادس والثلاثون

تحت شمس مستترة خلف سحب متراكمة وأمطار غزيرة تتساقط بين الحين والأخر وقفت شهرزاد كاظم تحت مظلة جانبية من البلاستيك المقوى بجوار السيد فاروق رئيس بعثة الآثار وأمامهما تلك البرديّات المُكتشفة في أعماق ذلك البئر السحيق ومسئولي المتحف يقومون بنقل مومياوات الحيوانات بالأسفل الواحدة تلو الأخرى إلى عربة جانبية مجهزة تمهيدًا لنقلها إلى غرفة الفحص بمتحف الحضارة الجديد، تنهدت شهرزاد وهي تقرأ تلك البرديّات:

– مجموعة برديّات ترجع إلى عصور ما قبل الأسرات بكل تأكيد.

قاطعها فاروق شغوفًا:

– ما دليلك على ذلك؟

– البرديّات ترصد جانبًا من الحياة اليومية لعمال عملوا في هذه المنطقة في بناء صرح يُدعى شمس الليل ومدوّن أن ذلك الصرح واحد من صروح متعددة تم إنشاؤها في عهد الملك أوزير ونحن نعرف جميع أسماء ملوك عصر الأسرات وأوزير ليس منهم.

– أوزيرا أيمكن أن يكون المقصود هو أوزيريس؟ إن قصة أوزيريس وست مجرد أسطورة تناقلها القدماء عبر موروثهم العقائدي معتقدين أنهم أبناء آلهة.

– أؤيدك في ذلك، أنا شخصيًا لا أؤمن بالأساطير واعتبرها مجرد حكايات متواترة عن أشخاص خيالية، ولكن لنؤجل أفكارنا تلك بعد فحص تلك المومياوات الحيوانية.

– رأى صائب.

تحركا معًا تجاه موقع البئر المُكتشف، ابتسم فاروق:

– تختلفين كثيرًا عن والدك الدكتور كاظم مروان يا شهرزاد.

– عملي يُحتّم عليّ البحث عن البراهين والأدلة وبدونها لا أقتنع بأي نظريات مهما كان قائلها.

– وتلك المومياوات التي عثرتي عليها منذ قليل، ألا تُثير في نفسك التساؤل والحيرة؟

ابتسمت شهرزاد في ثقة:

– مصر قبل عصر الأسرات حكمها ملوك متعددة في آنٍ واحد، حتى جاء مينا نارمر ووحدهم، صحيح أننا لا نعرف عنهم أي شيء ولكن هذا لا ينفي وجودهم، وربما تلك المومياوات حُنطت بعد عصرهم ودُفنت مع البرديّات القديمة.

– هل تعتقدين أن هناك شيء ما آخر يستحق التنقيب هنا؟

– تلك الأرض تحوي الكثير من الأسرار يا دكتور فاروق، هؤلاء العمال المدونة يومياتهم في البرديّات لا بد أن نبحث على ما كانوا يعملون في بنائه.

– صرح شمس الليل!

قالها فاروق ناظرًا حوله عبر الصحراء، لمسافة قريبة يرى الهرم الأكبر شامخًا وفي جواره الهرمين الآخرين وأمامهما

يجثو أبو الهول، تلك الآثار القابعة في مكانها عبر آلاف السنين...

رن هاتفها المحمول، فاستأذنت منه لتجيب، رقم لا تعرفه، أجابت:

– أستاذة شهرزاد كاظم، البقاء لله.

***

في غرفة الجدة رمزية المنتحرة في مستشفى العباسية للطب النفسي أغلقت ممرضة النافذة بصعوبة بالغة لقوة الرياح، الأمطار لا تتوقف في الخارج والصقيع يزداد، جثة رمزية مُسجاة فوق فراشها ومغطاة الرأس فقد نقلها رجال الشرطة بعد معاينة النيابة تمهيدًا لنقلها إلى المشرحة، الثقِطَت للجثة عدة صور ورُفعت البصمات وأُخذت أقوال الطاقم الطبي في إجراءات معتادة في مثل تلك الحوادث، وقف الطبيب المسئول عن حالتها مؤخرًا يوسف بهلول متأثرًا لما انتهت إليه حالتها، عزائه الوحيد أنه لم يكن يتابعها منذ فترة طويلة حتى إن انتدابه هنا في هذه المستشفى لم يمضِ عليه سنة على الأكثر، قال في التحقيق كل ما يعرفه عنها طبقًا لملفها الطبي:

– رمزية بهاء، أودعت المصحة بأمر قضائي في قضية أُتهمت فيها بقتل ابنتها الوحيدة ومحاولة قتل حفيدتها الصغيرة منذ نحو خمسة وعشرين عامًا وطوال هذه الفترة لم يحدث أي تقدم ملحوظ في حالتها ولكنها المرة الوحيدة التي تحاول فيها الانتحار وللأسف تنجح في ذلك.

كان في جواره السيد أحمد عثمان مدير أمن المستشفى

وقد فرغ من أقواله هو الآخر لرئيس النيابة ووقَّع عليها، خلت الغرفة من الجميع ما عدا يوسف وأحمد الصديقان، نُقلت الجثة إلى مشرحة المستشفى، نظر الاثنان إلى بعضهما بعضًا وقد فشلا في الإجابة عن ذلك السؤال الذي وُجه لكل العاملين بالمصحة:

– ما هذا الشعار المرسوم على الحائط بالدم؟

صولجان واس، تلك كانت الإجابة المختبئة في ساعاتها القادمة، إنهما يجهلانه الآن، أو هكذا اعتقد أحمد عثمان.

أمسك يوسف تلك الورقة المرسوم عليها نفس الشعار بيد المنتحرة رمزية، شعر بطاقة عجيبة يختلج لها قلبه وانقبض توجسًا من مجهول يقترب.

***

غربت شمس اليوم وشهرزاد كاظم تتردد في الدخول إلى تلك المصحة التي غادرت بابها منذ ربع قرن مضى في صحبة والدها الحبيب، فكرت كثيرًا في تجاهل ذلك الاتصال ولكن شيء خفي جذبها نحو جدتها لتراها للمرة الأخيرة، رمزية، تلك السيدة المرعبة التي كانت سببًا في كوابيس لا نهائية لشهرزاد في صغرها، من قتلت أمها وحرمتها من حنانها، مشاعر مختلطة كثيرة تتصارع في صدر شهرزاد ومع ذلك ذهبت إلى المصحة، فُتح لها باب المشرحة، دخلت مترددة، جر العامل درجًا حديديًا من دولاب كبير، ظهرت جثتها شاحبة اللون وعلى عنقها جروح وتجمعات دموية متجلطة، اقتربت شهرزاد، تأملتها، تلك التجاعيد الغائرة في وجهها التي غالبًا تُعطي صاحبها طابع الطيبة المكتسبة عبر الزمن الطويل

كانت ممتلئة بالدماء الخفيّة دومًا كما تراها شهرزاد، نظرت إليها مشتعلة نفسها بانتقام وأدته طوال عمرها، تمنت لو أنها تقتلها يومًا ما، تغتال من استباحت ذبح حياتها، تلك العجوز الشمطاء، كم تتمنى أن تُلقي بنفسها في أحضان والدها الآن! لتخبره بأن رمزية ماتت، ماتت منتحرة بحبال مزقت عنقها، كتمت أنفاسها بنفسها كما فعلت مع أمها وحاولت معها، همست والدموع تنساب من عينيها:

– أين أنت يا أبي؟ أحتاج إليك بشدة.

برودة لا تُحتمل أجبرت شهرزاد على الخروج من المشرحة، اقتادها ممرض إلى مكتب الطبيب يوسف بهلول الجالس مع أحمد عثمان يرتشفان فنجانين من القهوة بعد يوم صعيب مليء بأحداث استثنائية.

من اللحظة الأولى لرؤية يوسف لشهرزاد جذبت انتباهه، تلك الفتاة الرائعة الجمال ذات العينين الخضراوين والشعر الأسود الحالك السواد المنسدل على كتفيها، وجسدها الممشوق المُلفت على الرغم من ذلك المعطف الجلديّ الأسود المُغطي لنصفها العلوي وبنطال الجينز الواسع تحته، وذلك القرط الفرعونيّ الطراز المتدلي من أُذنيها الرقيقتين على شكل مفتاح الحياة، وعطرها الأخاذ الممتزج مع عبق جسدها الناصع البياض، فتاة مبهرة حقا! ابتسم لها يوسف ودعاها للجلوس وعزاها في موت جدتها، طلب لها كوبًا من العصير بينما وقف أحمد عثمان عند النافذة صامتًا يتابعها، ارتشف يوسف قهوته ونظر إليها، لاحظ اختلاج مشاعرها وتلك الدموع المحبوسة في عينيها، تحدث:

– جدتك رمزية سقطت في غيبات متكررة منذ دخولها المصحة، استغرقت الغيبوبة الواحدة منهم شهورًا متعددة وعند صحواتها القليلة كانت تنطق باسمك بشكل متوالٍ وكأنها تنادي عليكِ من دون ملل أو كلل حتى تداخل في غيبوبة جديدة، أعتقد أنها كانت تكن لكِ حبًا شديدًا، لماذا لم تفكري في زيارتها طوال هذه المدة ولو مرة واحدة؟ ملفها يقول إنها لم تقابل أي من أهلها طوال الخمسة وعشرين عامًا الماضية.

شربت شهرزاد من كوب العصير وتجاهلت سؤاله، تنهدت:

– هل لي أن أعرف ما هو المطلوب مني الآن؟

نظر لها يوسف وقد فهم أنها تُغلق كل نقاش ممكن حول الماضي، تحرك أحمد عثمان ناحيتها وجلس في الكرسي المواجه لها، أخرج ورقة من ملف على المكتب تحوي تلك الرسمة لصولجان واس ووضعها أمام شهرزاد وسألها:

– أستاذة شهرزاد، هل تعرفين معنى لتلك الرسمة؟

ارتبكت شهرزاد للحظات وظهر ذلك في يدها المرتعشة، وضعت كوب العصير أمامها، لوهلة تغير المكان من حولها ورأت نفسها طفلة صغيرة ذات ثماني سنوات من العمر في جانب مظلم من ذكرياتها الحزينة، تلك اللحظة التي رأت فيها جدتها تقتل أمها وتخنقها بإصرار حتى صارت جثة هامدة، ذلك الشعار المرسوم على الورقة هو نفسه ما كان على حائط غرفة الجدة آنذاك، صولجان واس، ما وجدته صباح اليوم مخطوطًا في برديّات البئر المُكتشف في صحراء الجيزة وهو نفسه الذي رسمته جدتها قبل انتحارها في غرفتها بالمصحة

في التوقيت نفسه تقريبًا كما أخبرها المتصل على هاتفها..

– أستاذة شهرزاد، هل من إجابة على السؤال؟

استفاقت شهرزاد لتجد نفسها في المكان نفسه، غرفة مكتب الطبيب يوسف بهلول، أخصائي الطب النفسي كما كُتب على لافتة خشبية صغيرة على مكتبه، أردفت متنهدة:

– هذا هو صولجان واس، رمز للإله ست إله الشر والخراب والصحراء عند قدماء المصريين.

لم يتفاجأ يوسف بهلول من إجابتها فقد عرفها مسبقًا، فله قصة خفيّة مع ذلك الشعار، حينما رأى الجدة رمزية بهاء منتحرة وورائها ذلك الشعار المسمى صولجان واس انقبض قلبه وتداعت الذكريات المريرة على عقله.

يوسف حسين بهلول ابن الصحفي الكبير الراحل حسين بهلول، من مات في ظروف غامضة منذ سنوات، اختفى حسين بهلول بغتة ولم يستدل على مكانه لمدة أسبوع كامل حتى عثروا على جثته ملقاة في صندوق قمامة وبتشريح جثته حددوا سبب الوفاة، الخنق.

ذكرى أليمة للطبيب يوسف خاصة أنه تعلق بوالده كثيرًا بعد وفاة أمه، ذلك الشاب الوحيد المنشغل بدراسته والرافض لأي ارتباط عاطفي بالجنس الآخر لعقدة قديمة من فتاة هجرته وتزوجت أقرب أصدقائه، لطالما عانى من فعلتهما الشنيعة ولكنه آثر الوحدة على ربط مصيره بمصير خائنة مُحتملة، وحتى حينما دق قلبه من جديد لفتاة ملائكية ظن أنها ستعوضه عن ظلم العالم له ماتت بغتة بمرض مفاجئ وكأنه كُتب على قلبه الشقاء الدائم ما دام حيًا يتنفس.

صُدم يوسف لوفاة والده وحادثته التي قُيدت ضد مجهول، كان يجلس بالساعات في غرفة والده يبكي بمفرده، يشتم رائحته في أغراضه وكتبه، في حاسوبه الإلكتروني، في صوره معه في كل مراحل عمره، يتدثر بذكريات ول وصاحبها بعيدًا ولن يعود.

شيء ما لفت انتباهه ذات ليلة، ورقة صغيرة مقطوعة وملقاة في سلة مهملات مكتب والده، لم يلاحظها من قبل، مد يده وأخرجها وأعاد ترتيبها كاملة أمامه، حينها رأى صولجان واس مرسومًا بخط والده، تعجب من تلك الكلمة المكتوبة فوق الصولجان، القضية.

بحث بعدها يوسف على شبكة الإنترنت عن معنى ذلك الشعار فعثر على ما آرق حياته بأكملها، صولجان واس هو شعار الإله ست إله الشر والخراب عند قدماء المصريين وهناك جماعات تندرج تحت عبدة الشيطان يؤمنون بأن ست هو نفسه الشيطان ويقدمون له القرابين البشريّة من حين إلى آخر ليرضى عنهم وينالون عونه، بل أن هناك طائفة منهم ينتظرون تجلي ست للبشر، تجلي الشيطان، وهذه الجماعة يُطلقون على أنفسهم (تمبل أوف ست).

جن جنون يوسف لهذه المعلومات، ظن أن والده اقترب من كشف **"Temple of Set"**، هؤلاء المجرمين العابدين للشيطان، ولكنهم اكتشفوا أمره فقتلوه، بل وقدموه قربانًا بشريًا لمعبودهم اللعين، فكر يوسف في إبلاغ الشرطة عما اكتشفه ولكنه تراجع، لا يملك أي دليلٍ في جعبته ولا شخص محدد لاتهامه، لن يناله سوى استهزاء المحققين وربما قتله

أصحاب تلك الجماعة وقدموه قربانًا جديدًا.

تناسى يوسف ما حدث لوالده رغمًا عنه وحاول الاستمرار في حياته ودراسته ولكن شعار صولجان واس ظل رسخًا في عقله الباطن رمزًا للألم والخراب.

***

عادت شهرزاد كاظم إلى بيتها في البساتين حاملةً صندوقًا خشبيًا يحمل متعلقات جدتها المنتحرة رمزية بهاء بعد طول تسكع في شوارع القاهرة بسيارتها القديمة الطراز خوفًا من العودة إلى بيت لا يوجد فيه والدها، وضعت الصندوق أمامها وهي تتساءل: ما الذي دفعها إلى تسلّمه ولم ترفض؟ لماذا لم تُلقيه في أي من صناديق القمامة؟ ما الذي دفعها إلى الذهاب إلى المصحة من الأساس وعدم تجاهل ذلك المتصل؟

ما زال والدها قيد الاختفاء، تواصلت شهرزاد مع الرائد فخر الدين منذ دقائق ولكنه أحبطها باستمرار لغز اختفاء والدها، جلست في صالة البيت على أريكة حديثة الطراز بيضاء اللون والدموع تنساب من عينيها، كم تشتاق إليه في هذه اللحظة! كم تقتلها الوحدة!

مدت يدها متغلبة على دموعها يجرجرها فضول غير مرغوب فيه وأمسكت الصندوق ووضعته على قدميها، صندوق خشبيّ قديم، فتحته، مجموعة أوراق خاصة بجدتها، مرسوم عليها بخط يدها، ضمن الأوراق تلك الرسمة لصولجان واس، شيء ما غامض تعتقد شهرزاد وجوده كعلاقة بين جدتها وبين ما حدث اليوم من اكتشاف أثري، شيء ستكشفه الأيام القادمة، تحت الأوراق قلادة ذهبية ثمينة، أخرجتها

من مكانها، قلادة تنتهي بعين حورس في نهايتها، تلك العين الزرقاء، تذكرتها شهرزاد جيدًا، لقد كانت والدتها ترتديها طوال الوقت قبل قتلها ثم اختفت أو بالأحرى قد تناسوا وجودها من هول ما عايشوه وقتها.

نهضت شهرزاد ممسكة بالقلادة الذهبية ووقفت أمام مرآة كبيرة في صالة بيت البساتين وارتدتها لتتدلى على صدرها، ابتسمت في حزن، وكأنها تعود بالزمن حينما كانت تنعم بحنان أمها واهتمامها، للحظة شعرت بأمها تحتضنها بل ورأتها خلفها في المرآة تُقبل خدها الأيمن وتضمها بقوة ثم اختفت، لتعود شهرزاد وحيدة وسط دوامات غياب والدها المفاجئ.

صوت يشق السكون حولها في هذه الساعة المتأخرة من الليل، صوت مرتعش أخافها:

- شهرزاد، شهرزاد، شهرزاد، شهرزاد.

التفتت حولها باحثةً عن مصدر ذلك الصوت، غرفتها، تحركت ناحيتها، ترددت في الدخول، الصوت لا يتوقف، مدت يدها وفتحت الباب في خوف، أصدر الباب الخشبي صريرًا بسيطًا، أضاءت شهرزاد مفتاح إنارة الغرفة، كل شيء ساكن في مكانه، توقف الصوت بمجرد إضاءتها للغرفة، تحركت إلى الداخل في حذر شديد، برقت عيناها، شيء ما مرسوم على الحائط، اقتربت، تحسسته، دماء طازجة غير متجلطة، إنه صولجان واس، جاء الصوت مرة أخرى كصراخ طويل بصوت نسائي مرتعش:

- شهرزاد.

سقطت وراء شهرزاد قدمان حافيتان لسيدة عجوز معلقة في مشنقة بمنتصف الغرفة، جاحظة العينين، التفتت شهرزاد ناحيتها لترى جدتها منتحرة ميتة، صرخت شهرزاد مرعوبة، سقطت أرضًا، زحفت للوراء وقلبها ينتفض هلعًا، نظرت حولها، لقد اختفت الجدة واختفى الشعار (صولجان واس) على الحائط، عاد كل شيء أدراجه كما كان، رنين هاتفها يتردد من الخارج، نهضت شهرزاد وخرجت من الغرفة، أمسكت هاتفها لتنظر من يتصل بها في هذا الوقت المتأخر، السيد فاروق، أجابت فجاء صوته الممتلئ بالحماس والفرحة:

– شهرزاد، تعالي فورًا إلى موقع التنقيب، عثرنا على كنز.

- 8 -

اليوم الحادي عشر

مدينة الإله آمون

العام المائة لغياب إيزيس، لم ينسها ست مطلقًا، ما زال واقعًا في غرامها المُحرّم، رغم أنه صار الإله الأرضيّ الخاضع له كل الناس في البلاد التي يسيطر عليها بمباركة رع إلا أن رغبته لم تقل يومًا في امتلاك صاحبة الجسد الممشوق البضّ إيزيس، بل كانت كالنيران المشتعلة في حطب يتجدد كل يوم.

امتلأت المعابد بتماثيل الإله ست الذهبيّ الذي أشرف على صناعته قبل تنفيذ خطته جنبًا إلى جنب لتمثال رع، بل أنه شرّع لشعبه الاحتفال بعيد الإله ست تزامنًا مع عيد الربيع.

أمن ست خلوده بالاتفاق مع أبنائه وأخذ عليهم عهدًا بتقديم أحدهم قربانًا أخيرًا لجثمانه بعد موته وجهز لنفسه مقبرةً فاخرةً وأوصى رئيس ديوانه أنه في حالة موته فلا بد من تحنيط جثمانه بعناية وإخفاء المقبرة عن أعين اللصوص ولذلك كانت المقبرة سريّة في وسط الصحراء لا يعرف طريقها غير رئيس ديوانه وأبنائه وزوجته نفتيس، حرص ست على أن يكون أبناءه الأربعة من مقترفي الخطايا الكبرى ليكونوا من أصحاب الدم المدنّس، دفعهم دفعًا لارتكاب الجرائم ضد شعبه فانتشر الظلم والقهر على مدار عقود بأيدي أولئك الأبناء، حتى إنهم كانوا يوقفون النساء في دروب المدينة ويختطفوهن في عرباتهم الملكيّة ويضاجعوهن

تحت مرأى ومسمع أزواجهن حتى صارت أغلب نساء مصر حبيسات بيوتهن خوفًا من أبناء ست، فما كان منهم بعد ذلك إلا أنهم يهاجمون البيوت بين فترة وأخرى ويغتصبون النساء في عُقر ديارهن، في البداية ثار بعض الأزواج فعُقد لهم مذبحة علنية وسط المدينة وحوكموا بتهمة الخيانة العظمى ومحاولة إثارة الشغب في المملكة وعُلقوا على مشانق حتى تعفنّت جثثهم وتآكلت ثم أمر ست بحرقهم بالنيران لتطهير وسط المدينة من دنّسهم المزعوم وبعدها صار الناس خاضعين تجزع نفوسهم كل يوم ولا ملاذ لهم أبدًا حتى فكر البعض في الفرار في ظلمة الليل بعيدًا ولكن قبض عليهم جنود ست المنتشرين على حدود المدينة وصاروا عبرة في الصباح الباكر مشنوقين في ساحة المدينة ليلحقوا بمن قبلهم وبعدها لم يحاول أحد الفرار أو التذمر وصاروا كالموتى يسعون في الطرقات محطمي القلوب مطأطئي الرؤوس.

نجح ست في تنفيذ كل ما رتّبه مع الشيطان بأيادي أبنائه ولكن شيئًا واحدًا أخفاه عنهم، مكان البرديّة المتوارثة، خاف أن يقتله أحدهم غدرًا كما فعل مع والده الملك جب، لذلك دسّ مكانها عنهم وأخبرهم أنهم سيعثرون عليها بعد موته مباشرة، احتفظ ست بالبرديّة في خزانة سريّة في المعبد الشرقيّ لا يملك مفتاحها غيره وأخبر زوجته نفتيس عن كنزٍ كبيرٍ تحويه تلك الخزانة لأبنائه وإن مات فقط عليها أن تخبرهم بذلك وأعلمها أن مفتاح تلك الخزينة مُعلقًا في رقبته بسلسلة من ذهب.

نفتيس تلك الجميلة الرائعة المُخلصة لزوجها منذ اللحظة

الأولى التي تفتحت فيها عينها على تلك الدنيا، لقد أحبته بكل ما لديها من مشاعر، تعلّق قلبها به ولم تر ذلك الشر الكامن في روحه، أو أنها غضت طرف عقلها عن مساوئه، وللحق لم يُخلق بشرًا لا يحمل خيرًا داخل ثنايا قلبه قط وربما هي فقط من عثرت على ذلك الخير في ست، ذلك المتجبر الطاغي، لطالما حاول هو الآخر أن يحبها ويقذف همومه في أحضانها كل ليلة ولكن رغبته الهائلة في امتلاك إيزيس حالت دون ذلك، لحسن حظه لم يصرح ست لها بنواياه القديمة بالزواج من إيزيس، حتى عندما حدد ميعاد زفافه على إيزيس منذ مائة عام هربت قبل أن يُعلنها لنفتيس.

أدرك جيدًا أن نفتيس باتت البشريّة الوحيدة المُستحقة لثقة الإله ست.

لم يعلم ست أن هناك لقاء عمره عقود طويلة دار سرًا بين نفتيس وكبير الكهنة السيد ختمتي ليخبرها فيه بكل ما فعله ست، قتله لأخيه أوزيريس من أجل الزواج من إيزيس، بل إن نفتيس كانت الراعية الوحيدة لإيزيس في ملجأها الآمن طوال هذه العقود.

قرية صغيرة على أطراف صعيد مصر بالقرب من مدينة نخن، تنكرت إيزيس فيها بشخصية فتاة شريدة تعيش اليوم بيومه، بنت كوخًا على شاطئ النيل وعاشت فيه، جلست في الأسواق تشحذ قوت يومها حتى جاءها المخاض وولدت ابنها الوحيد، حورس، هكذا سمّته، الاسم الذي اختاره له أوزيريس قبل موته.

تعرفت إيزيس على أحد البحارة الصيادين المتنقلين على مراكب المملكة بطول النيل وأحد المسئولين عن مدّ البلاد بحصتهم من الأسماك، كتبت رسالة إلى كبير الكهنة ختمتي، بعد أن علمت أنه أُعفى من منصبه والتزم بيته، رسالة لا يفهمها غيره:

– من وسط أقصاب النيل أُحييك يا سيد ختمتي.

فتح ختمتي الرسالة وقرأها وللفور أدرك أنها إيزيس، خاصة بعد أن وصفها له البحّار، خرج معه في رحلته ليقابلها، سافر عبر إحدى مراكب المملكة، وهناك على ضفاف نيل القرية كانت إيزيس جالسة تُرضع ابنها حورس.

وقف ختمتي أمامها مبتسمًا شاكرًا رع على حمايته لإيزيس، نهضت وناولته الطفل الرضيع هامسة ليشق صوتها صوت خرير مياه النيل:

– حورس ابن أوزيريس.

حمله بين يديه ولاحظ النور المشع من وجهه كالشمس، قبّله:

– باركك رع يا بني.

أخبرها ختمتي بموقف نفتيس بعدما عرفت كل شيء ومع ذلك ما زالت مستمرة في جوار القاتل ست.

حكى لها عن زيارتها له منذ شهور مضت ورغبتها الملحة في معرفة مكان إيزيس ومساعدتها لتحميها، فكرت إيزيس كثيرًا في ذلك المنحنى العجيب لتصرفاتها، لا يمكن لنفتيس أن تساعد ست في العثور عليها ليتزوجها، لا يمكن لامرأة

مثلها أن تفعل ذلك أبدًا خاصة أنها تعشق ست بكل مشاعرها، نظرت إيزيس إلى ختمتي باهتمام بالغ:

– أريد منك أن تُرتّب مقابلةً سريّةً بيني وبين نفتيس.

– خطرٌ بالغٌ يا ابنتي.

– لا، نفتيس ستكون بداية لنهاية ست.

في غضون أيام خرجت نفتيس في رحلة نيلية خاصة مع وصيفاتها، رحلة استغرقت شهر بأكمله، قابلت نفتيس إيزيس المتنكرة في زيّ مزارعة ليلًا بين أقصاب النيل وتأكدت إيزيس من نوايا نفتيس، لكن الانتقام لا يكون هكذا سهلًا، إيزيس تريد حكم البلاد وليس فقط موت ست، لن يكون لها حكم البلاد أبدًا إن قتلته الآن، نار الغيرة والانتقام داخل نفس نفتيس دفعتها إلى التنازل عن مُلك ست وأبنائه وأن يعود من جديد لنسل أوزيريس ذلك المغدور من أخيه ست.

ربما كانت نفتيس شخصية ملائكية الطباع أكثر من اللازم ولكنها كانت المحرك الأساسي لتلك الخطة، على إيزيس الاختباء حتى يشب حورس، وبعدها عليها أن تُعلّمه فنون القتال قبل أن تخبره عن حقيقة والده وأحقيته في حكم البلاد، كل ذلك متوقف على رؤيا سيخرج بها ختمتي رئيس الكهنة السابق ليخبر بها العامة لتنتشر كالنار في الهشيم، سيخبرهم أن أوزيريس زاره في منامه وأخبره أن إيزيس عثرت على جثمانه ودعت رع ليُعيد فيه الروح لبعض الوقت وبالفعل عادت روح أوزيريس في جسده وضاجعها وألقى فيها ابن له، حورس، ثم مات مجددًا وهو يُقسم:

– سيعود حورس يومًا ما ليسترد حكم أبيه.

نفذ ختمتي كل ما طُلب منه ببراعة وبالفعل صارت تلك القصة مثار لغطٍ بين الناس حتى عرفها ست ونفتيس جالسة على العرش في جواره، لم يعط لها أي اهتمام يُذكر بل قابله بضحكة مستهزئًا.

مرت السنون وصار حورس ذلك المثالي مفتول العضلات شابًا قويًا يتجه كالسهم نحو قلب الإله ست، وفي غفلة من ست ورجاله وأبناءه تمكن حورس من حشد الشعب المستاء المقهور من ظلم ست، لم يكن بالأمر اليسير أن يُشعل النار في قلوب أولئك الموتى الأحياء بعد طول خنوع وخضوع ولكنه نجح في النهاية في تلك المعجزة، ويومًا بعد يوم شبت ثورة هائلة قادها حورس.

صاحت الحشود المُهاجمة للقصر الكبير لتتصادم مع جيوش الملك ست، دارت معركة هائلة غير متكافئة مات فيها الكثيرون من شعب المملكة واستمرت لأيام طويلة.

جلست نفتيس في جوار زوجها ست العائد في سرية من هيكل الشمس بعد أن طلب من الشيطان أن يمده بجيوش الشيطان لتحارب معه وطمأنه إبليس بانتصاره.

لكن ثلاثة من أبناءه الأربعة ضُرعوا في أثناء تلك الثورة الشعبية الضخمة بأيدي الثائرين، وهرب الأخير على جواده إلى الصحراء.

بات ست في مأزق كبير، من سيكون الوريث بعده، من سيحمل لواء ومسئولية عودته إلى الحياة من جديد.

أقنعته نفتيس بأن يلجأ إلى كبير الكهنة السابق ختمتي لأن

له كلمة موثوق فيها لدى الشعب خاصة أنهم يكرهون كبير الكهنة اللاحق له، فأمر ست بإحضار ختمتي من منزله.

فكر ست أن يكون وريثه هو ذاته ختمتي، ولكنه لا يثق به مطلقًا، لكن لا مناص.

وقف ختمتي الكهل أمام ست وبعد دقائق من الصمت المطبق أمره ست بمضاجعة خادمة عنده بالقصر الملكي ثم ذبحها أمام عينيه وتلطيخ وجهه بدمائها، أخبره أن تلك الطقوس جزءًا من أوامر الإله رع لينتهي الصراع الدائر خارج ذلك القصر، رفض ختمتي بشدة في البداية، ولكن نفتيس طلبت من ست أن تقنعه وانفردت به جانبًا، همست له بكلمات لم يسمعها ست ووافق بعدها ختمتي على طلب ست ولكن في البداية عليه بالتحدث إلى شعبه من شرفته ليُهدِّئ ثورتهم تلك، وافق ست.

خرج ختمتي من شرفة القصر يهتف في الحشود المتصارعة خارج القصر بصوت جهوري:

– يا أهالي البلاد، لقد عانيتم كثيرًا من الظلم والقهر، إن من بينكم خرج ابن الملك أوزيريس المغدور به في الماضي، لقد قتله ست، وها قد عاد حورس للانتقام منه كما جاء في رؤياي.

برقت عينا ست وهو يستمع إلى خيانة ختمتي، أخرج سيفه من غمده ونحره أمام العامة..

ارتبكت الصفوف واهتاج الناس، صاح حورس الذي لم يكن يعرف الناس حتى اللحظة اسمه الحقيقي.

– أنا حورس ابن أوزيريس، اللعنة على ست قاتل أبي أوزيريس.

اللعنة على قاتل أبيه وأخيه.

امتلأت الساحات بالجثث وتقارعت السيوف، تخلى الجيش حينها عن مدخل القصر بأمر من رئيس الديوان الملكيّ، لقد رأى أن الكفة تميل ناحية حورس الذي نجح بدوره في اقتحام القصر، وفي ساحة القصر وقف الاثنان أمام بعضهما البعض، حورس وست، وجهان متضادان بين الخير والشر، تقارعت سيوفهما في تحدٍّ شديد.

وقع السيف من يد حورس وفي غمضة عين وبحركة بهلوانية قفز حورس في الهواء والتقط حربة معلقة على الحائط ودبها في قلب ست ليسقط ميتًا في الحال.

***

في المكان نفسه داخل تمثال رع على الكرسي الذهبيّ جلس الملك الجديد حورس ممسكًا بتلك البرديّة التي سلمتها له نفتيس بعد بكائها الشديد على جثمان ست زوجها المسجى على طاولة في ساحة القصر، لقد كانت تحبه بشدة ولكنه خائن عتيد استحق ما انتهى إليه أمره.

البرديّة، الكنز الكبير الذي أخبرها عنه ست لتورثه أولاده، توقعت ذلك، الكنز هو البرديّة، وقبل أن تُعطي الفرصة لابنها الهارب أن يعود بأي شكل ويُعيد روح ست مرة أخرى لجسمه ويملأ الدنيا ظلمًا وجورًا، ذهبت إلى المعبد الشرقيّ وفتحت الخزانة وأحضرت البردية وسلمتها لحورس، لم تكن قادرة أبدًا أن تقف أمام ست من جديد وهو يعلم أنها

كشفته، كانت تدرك جيدًا أنه ربما يقتلها ويهدر ذلك القدر الضئيل من الذكريات الكامنة داخل قلبها له، تناول حورس البرديّة وأخبرته نفتيس عن قصتها بالكامل كما أخبرها ست في لحظاته المضطربة حينما قرر أن يكون ختمتي هو وريثه على أن تكون هي المشرفة على ختمتي إن وافق على طلبه، كرر حورس ما فعله ست من قبل، دخل التمثال ومعه مصباح كهربائيّ لاسلكيّ صغير ليقرأ الكلمات في تركيز، انطفأ المصباح بغتة بعد انتهائه من كلماتي السحريّة وساد الظلام وجاء نفس الصوت الأجشّ القديم:

– يا قارئ الكلمات، الخير أم الشر؟

– الخير.

قالها حورس متوجسًا مترقبًا، لحظات صمت كعقود طويلة قطعها ذلك الصوت الأجشّ:

– هل تريد تجنب شر الشياطين؟ أم تريد معاونتهم؟

– أعوذ بك من شر الشياطين وأعوانهم.

– أحسنت يا فتى، لك ذلك، لن ينالك شرهم أبدًا.

– ولكنني أعلم ما كان لست وشيطانه.

– قدم قرابينك المقدّسة يا حورس تصونك أنت وأحفادك إلى أبد الدهر.

– قرابين مقدّسة!

– أول طفل كل مائة عام.

– لا أفهم ما ترنو إليه.

– لقد سبق السيف العزل، وانطلق موكب الشر ولا يوقفه غير أصحاب الدم المقدّس، ذلك قدرهم أن يدفعوا ثمن شرور السابقين، ثمن الحماية.

لم تظهر الطلاسم الشيطانية على جسد حورس وكأن كلماتي السحرية ترى الأفئدة وتُميز إن كان أصحابها يحملون شرًا أم خيرًا للبشر.

فكر حورس كثيرًا في حواره مع خادم البردية التي حفظها في خزانته الخاصة، أمر بإذابة كل التماثيل الذهبيّة لست في كل ربوع مصر وتقطيعها إلى سبائك ذهبية صغيرة ووزعها على عامة الشعب فهتفوا بحياته والتفوا حوله وساد العدل كل الأرجاء وتذكر الناس أبيه أوزيريس ودعوا له.

وُضعت جثة ست في مقبرة مجهزة بالقرب من هيكل الشمس وانتهى الحناطين من تحنيطها كليةً طبقًا لوصية زوجته نفتيس التي ألحت على حورس بتنفيذ ذلك الطلب من أجلها لعلها تُقابل ست في العالم الآخر بعد الموت، فقد ساد معتقد البعث بعد الموت لديهم ولذلك كانوا يحنطون جثامين موتاهم ويضعون معهم الطعام والزاد والكنوز الذهبيّة ليستقبلها أنوبيس إله الموت عند القدماء لربما يعفو عنه وينقذه من الجحيم.

امتلأت المقبرة بأعضاء مختارة من كهنة الإله رع المُعينين حديثًا عن ثقة بعد انتصار حورس، والملكة السابقة نفتيس، والملك حورس الجالس على عرش نقّال من الذهب الخالص وعلى رأسه تاج على شكل صقر رمزًا لقوته وبأسه، مصابيح كهربائية لاسلكية تنير جدران المقبرة التي شجل عليها

أحداث المعركة بأكملها برسومات واضحة، ففي المنتصف نرى صورة حورس وعلى رأسه قناعه الصقريّ وتحت قدمه ست في لحظاته الأخيرة وفوق رأسه قناعه الأسطوريّ وحورس يطعنه بحربته في قلبه، وكذلك رحلة ست على قارب الآخرة مع الإله أنوبيس مذلولًا.

دُقت الطبول داخل المقبرة لتبدأ مراسم دفن الشر كما دونّها حورس في برديّاته، هنا يرقد الشر كله، تدلت سلسلة ذهبية على صدره أهدتها له أمه إيزيس التي اعتلت كرسيها القديم واقتنصت مكانتها بعد طول عذاب، قلادة تنتهي بعين زرقاء يحاوطها كلمات بالهيراطيقية، عين زرقاء كعينيّ حورس، وكأنها رمز للملك الجديد وعينه الساهرة على العدل والأمان للناس، باتت تلك القلادة من اليوم الأول لاعتلاء عرشه رمزًا لحورس ورُسمت على جدران المعابد وأحبها الناس في كل الأقطار، بل وصنع منها الحدادون المئات وعُلقت في أعناق الرجال والنساء تيمنًا بملكهم الذي أُحبوه بشدة، حورس.

ازداد إيقاع دقات الطبول ونُفذت تعليمات حورس بدقة ووقف أمامه رئيس الكهنة الجديد ختمتي الثاني ابن الشريف الراحل ختمتي، وقف منحنيًا في خشوع وخضوع، فحورس هو ابن الإله رع الجديد كما تعودوا منذ القدم، عليهم بمباركته كما يشاء رع.

انتهى الحناطين وكُتبت بعض الطلاسم السحرية من داخل البرديّة بناءً على طلب حورس على رداء الكتان المغطي للجسم المحنط بأكمله وأُحكمت تمامًا على جثمان ست فلم يعد يظهر منه غير رأسه، ثم نُقل إلى تابوت مصنوع من

الجرانيت ومنقوش عليه بعض ما نُقش على حوائط المقبرة ووضع قناعه الشهير فوق رأسه.

صوت الساعة التي هي بحجم الكون ما زالت مستمرة في الدق والمضي عبر التاريخ.

ردد كبير الكهنة تراتيله وردد خلفه الكهنة حتى أنهى التراتيل بجملة جديدة عليهم طلب حورس إضافتها:

- عين حورس هي حاميتك، أوزوريس إله الغربيين هو حارسك، سيهزم كل أعدائك، وكل أعدائك هم جزء منك.

تعالت دقات الطبول، أحد الكهنة يحمل إناء ممتلئ بالدم، يقترب من الملك حورس، لقد أمر حورس كبير الكهنة بذبح أكبر أبنائه قربانًا مقدّسًا لحماية البشر من الشر الكامن، تردد كبير الكهنة في البداية ولكن أحداث تلك الفترة والاضطرابات الشديدة في عموم البلاد أجبرته على الانصياع لأوامر حورس، وإلا قُطعت رقبته، كما أن والده ختمتي لطالما تحدث عن عودة مُلك البلاد إلى حورس ابن أوزيريس وتوسمه للخير في ذلك ولهذا لن يكون أبدًا من يقف في وجه حورس وأوامره مهما كانت قاسية، حمل في الإناء الفخاري دماء ابنه المقدّسة، امتلأت عينَي كبير الكهنة بالدموع المُحتبسة، أمسك الملك حورس خنجره وجرح يده ليسقط من ساعده نقطتان دماء في الإناء وتختفي وسط دماء الابن الأكبر لكبير الكهنة وتمتزج، تعالت دقات الطبول أكثر وأكثر.

مُنح حينها الكهنة ضُلع الرؤوس أنصالًا حادة، أمسكوا بها، وقف حورس واهتزت قلادته الذهبية على صدره، لقد وقع حورس اتفاقه السريّ هو الآخر، هكذا فهم من حديث

خادم كلمات البرديّة، ليمنع الشر وعودة ست إلى الحياة من جديد عليه بتقديم قرابينًا مقدّسةً، التضحية بأصحاب دماء مقدّسة، الطفل الأول كل مائة عام، هكذا نطق بها خادم الكلمات، وليس هناك أشخاص مقدّسة أكثر من كهنة آمون خُدّام الإله رع، جميع الكهنة المُعينين كانوا الأبناء الكبار لآبائهم الكهنة أيضًا، كان ذلك شرطًا رئيسًا في تعيينهم، قطع الكهنة شرايين أياديهم في آن واحد مبتسمين لتمتزج دمائهم المقدّسة، أقنعهم حورس بعظمة ما يقدمون للبشرية، سقطوا جثثًا هامدة ولم يتبقى منهم غير كبيرهم ختمتي الثاني.

ترقرقت عينا الملك حورس بالدموع متسائلًا في خلجات نفسه:

– ترى، هل يحافظ أصحاب الدم المقدّس على العهد؟

أُغلق التابوت على مومياء ست وانغمس في بحور من الدماء المقدّسة المتجددة لآلاف السنين، كل مائة عام يُقدم الكهنة من ورثتهم دماء أول ابن أو ابنة لهم ليحمي الخير العالم من الشر الكامن تحت الثرى، ليحارب الدم المقدّس الدم المدنّس.

وقف الجميع في لقطة ثابتة كصورة اتخذها الزمان عبر عينيه الكامنتين ولصقها في ذاكرتي المُتعلقة بحروف كلماتي الشاهدة على أنهار من الدم البشريّ.

- 9 -

اليوم السادس والثلاثون

جلس الرجل المجهول ذو الطلاسم الشيطانية البارزة على طاولة خشبية مستطيلة في فيلا المزرعة المعزولة بأشجارها الكثيفة ليتناول طعامه اللّذيذ ويشرب كأسًا من الخمر المُعتّق مع ضيفه الجديد، الدكتور كاظم مروان، أو بالأحرى جثته المنزوعة القلب الموضوعة أمامه في وضع الجلوس على كرسي تستند على الطاولة، تلك الوجبة الشهيّة التي أعدّها الرجل المجهول مع قليلٍ من الملحِ والليمون على نارٍ هادئةٍ وشرائح من الفلفل الحار، وجبة القلب البشريّ بصلصة الطماطم الطازجة.

قطّع الرجل بسكينه قطعة من القلب والتهمها بشراهة وتحدّث:

– لذيذ، كان عليك أن تتذوقه ولكن الموتى لا يأكلون، أليس كذلك؟

ضحك في هستيريا:

– نسيت، الموتى لا يسمعون ولا يتكلمون أيضًا، ولكنني اليوم في غاية السعادة..

كل شيء يسير كما رتبنا له ببراعة، أصدقك القول إن الحظ لعب دورًا كبيرًا في مسيرتنا.. لكن غباء الطرف الآخر هو من ساعدنا للوصول إلى تلك المكانة.

أنت نفسك تكتب وتُحذر ولا أحد يسمع لك، للعلم، لو كان

العالم قرأ كتابك هذا الأخير لنالك كثير من السباب والسخرية وربما يودعونك مصحة أمراض نفسية وعصبية كأشد المجاذيب خطرًا، لا أحد يصدق الحقيقة، يفضلون العيش في الأوهام ما دمت تخدع نفوسهم الغارقة في طوفان التناسي كذبًا.

لذلك فقد حرقت أوراقك كلها، لا داعي أن تنال سخط الناس وأنت ميت، أليس كذلك؟

آه، نسيت، الموتى لا يسمعون، حسنًا، حسنًا.

التهم الطعام أمامه سريعًا وشرب كأسًا أخرى من الخمر، نهض تاركًا سكينه وشوكته وتحرك نحو جانبٍ من غرفته، القمر يطل عبر النافذة المفتوحة وعجيج الرياح يتعالى في هذه الليلة الفريدة من نوعها، نظر الرجل المجهول في ساعة يده، تنهّد، شغّل أغنية على حاسوبه الشخصي، أغنية يحبها بشدة لمحمد عبد الوهاب وأخذ يدندن معها:

– جفنه علم الغزل، ومن العلم ما قتل..

فحرقنا نفوسنا في جحيمِ، من القُبل

ونَشَدنا ولم نزل حُلُمَ الحبّ والشباب

حُلُمَ الزهرِ والندى

حُلُمَ اللهوِ والشراب

هاتها ها ها هاتها

ها ها هاتها.

أخذ يتمايل في سعادة متذكرًا حبيبته الراحلة تغريد، من

كانت سببًا رئيسيًا لتغيير مسار حياته، الباحثة تغريد قاسم خريجة كلية العلوم الحاصلة على الدكتوراة، من قابلها صدفةً ليُعلن قلبه تعلقه بها منذ اللحظة الأولى، على الرغم من انشغالها المستمر بأبحاثها حول علاج فعال لمرضى السرطان إلا أنها أحبته، أقسما معًا على سعادة وردية يمنحها كل منهما للأخر طوال عمرهما، لكن سعادته المستقبلية باتت سرابًا تلاشى سريعًا، بدايةً من إعلانها لأستاذها اكتشافها علاجًا جذريًا لمرض السرطان وحاجتها إلى تقديم مشروعها للدولة لتحصل على الدعم الكافي وليصل دوائها إلى عموم الناس في العالم ولكن أستاذها طلب منها إخضاع بعض المرضى أولًا بشكل سري لتجارب سريرية لعلاجها على مسئوليته الخاصة بالتنسيق مع بعض الأطباء وبدءوا التجارب بالفعل في مستشفى خاص كان أستاذها شريكًا فيها، وأحرز الدواء نتيجة سحرية جعلتهم مستعدين للإعلان عن ذلك الاكتشاف الخطير، قرروا تقديم المشروع بأكمله للدولة ولكن القدر كان أسرع منهم حيث مات أحد المرضى أصحاب الحالات المتأخرة في أثناء تلقيه للعلاج وقام أهله بتحطيم المستشفى والتهجم على الطاقم الطبي حتى تهور أحدهم وطعن تغريد بمشرط طبي أودى بحياتها وأنهى أحلامها بحياة مستقرة مع الرجل المجهول، وحينما هاجمت الشرطة المستشفى للقبض على عائلة المريض المتوفي قاموا بحرق المستشفى بكل ما فيها ولاذ بعضهم بالفرار، أهؤلاء هم من أفنت تغريد حياتها من أجلهم؟ من ضحت بروحها وسهرت الليالي تحلم بعلاج لأوجاعهم؟

طعنة شرسة نفذت إلى قلب الرجل المجهول ليتحول بعدها

إلى النقيض، ذلك الرجل الهادئ الوديع صار قاتلًا محترفًا معتنقًا الشر المطلق.

رقص ناظرًا إلى جثة كاظم طالبًا منه أحيانًا أن يشاركه الرقص والدموع تتصارع في عينيه مدندنًا أغنيتهما المشتركة هو وتغريد:

– جفنه علم الغزل، ومن العلم ما قتل..

فحرقنا نفوسنا في جحيمِ، من القُبل.

أوقفه صوت رنين رسالة على هاتفه المحمول، اقترب من هاتفه مُتلهفًا، فتح الرسالة مبرق العينين:

– الآن، تحرك.

***

انطلق الرجل المجهول بسيارته سريعًا نحو هدفه الجديد، تأكد من وجود البرديّة العتيقة معه وقسّم كاظم في كيسين بلاستيكيين أسودين بعد أن فصل أعلى جسده عن أسفله بمنشاره الكهربائي وألقاه في الحقيبة الخلفية لسيارته، الأمطار غزيرة لا تتوقف وسحب محتقنة للغاية تملأ السماء لتنذر بيوم شديد البرودة، الساعة تقترب على الخامسة فجرًا وما زال الظلام يعمّ الأرجاء كأن الشمس قد تم اختطافها من مجهولين، توقف الرجل عند مدخل خلفي لبيت تحت الإنشاء في الجيزة، حمل الحقيبتين السوداويتين وصعد درجات السلالم حتى وصل إلى الدور قبل الأخير، الدور العاشر، أخرج نظارته المُعظمّة ونظر من خلالها نحو الأفق فلم ير شيئًا، ما زال الظلام دامسًا.

في حالة من الترقب أخرج قنّينة مملوءة بالدماء من أحدى الحقيبتين وقام برسم شعار صولجان واس على الحائط، ثم رسم نجمةً خماسيةً ضخمةً على الأرض الأسمنتية وحرر جزئيّ جثة كاظم من الحقيبتين ووضعهما فوق النجمة الخماسية بعد أن جردهما من أي شيء يسترهما، ثم قام بنثر دمائه كاملة من القنّينة حول المكان، تسربت أشعة الشمس على استحياء خلف السحب المتراكمة فتمكن أخيرًا من الرؤية عبر نظارته المُعظّمة، إنه يراهم بوضوح على الرغم من بُعد المسافة، تلك البعثة المُنقّبة عن الآثار وسط صحراء الجيزة، بعد فترة قصيرة تصل سيارة شهرزاد كاظم إلى هناك وتهبط منها شهرزاد وفي استقبالها السيد فاروق في لهفة، همس الرجل المجهول ناظرًا نحو الجثة:

– وصلت ابنتك يا سيد كاظم.

ترجلّت شهرزاد ناحية فاروق وسط سيلٍ من الأمطار الغزيرة مرتدية معطفًا من الجلد، وأسفله تتدلى قلادة والدتها الذهبيّة التي تُشعرها ولو بقدر ضئيل من حنانها المفقود، قلادة عين حورس، هلل فاروق:

– عثر العمال على باب مقبرة ويحاولون فتحه.

– عظيم.

تقدّمت شهرزاد بشغف ناحية العمال المنشغلين في إزالة التراب والطين عند منطقة قريبة من البئر المُكتشف بالأمس، جلست القرفصاء وتحسست ذلك الباب الحجري الضخم المنقوش عليه باللغة الهيراطيقية.

على بُعد كيلومترات في العمران انشغل الرجل المجهول

بكتابة بعض الطلاسم على حائط البناية مردّدًا ترانيم شيطانيةً حفظها ظهرًا عن قلب.

عثر العمال على مقبض كبير من الحديد المصقول لهذا الباب الحجري، حاول العمال جذب المقبض إلى أعلى من دون جدوى، استعان فاروق برافعة كبيرة قاموا بربط المقبض في حبالها.

الرجل المجهول يُخرج البرديّة من جيبه ويبدأ في قراءة سطورها، شهرزاد تتابع الجميع متوجسة والأمطار لا تتوقف، القلادة تتحرك فوق صدر شهرزاد بفعل الرياح وكأن عين حورس الزرقاء تخرج من مكانها الثابت وتبكي.

أدرك الرجل المجهول أنه على قرابة حلم تمنى أتباع ست حدوثه لأجيال وأجيال.

– لن يعود ست إلى الحياة باتفاقه مع الشيطان فقط، لا بد أن يأمر حورس بنفسه خُدّام تلك الكلمات بفتح الأبواب، هؤلاء يصيبون من يقترب من الجثمان بلعنة كبيرة، لن ينجو منها غير حورس أو أحد كهنته، من يملك قلادة حورس.

لذلك ظل أتباع الشر يبحثون عن ورثة القلادة، أصحاب الدم المقدّس لأزمان طويلة، وحان الآن موعد الانطلاق كما خططوا له.

تتلاعب القلادة في صدر شهرزاد كاظم، العمال يحاولون بكل قوتهم رفع الغطاء الحجري مشاركة مع الرافعة الضخمة، الرجل المجهول يقرأ البرديّة بأكملها حتى ينتهي منها، حالة من الصمت تصيب الجميع، وكأن العالم قد توقف، توقفت الأمطار عن الهطول، سكنت الرياح، صوت نعيق غراب بعيد

يقترب، كُتمت الأنفاس حتى شق صمتهم صوت تحرك الباب الحجري من مكانه، صوت هائل اهتزت له قلوبهم، وقفت شهرزاد وبعض العمال عند فوهة المقبرة العليا تنظر نحو المجهول في الأسفل وفي جوارها فاروق، اختفى الرجل المجهول من فوق البناية البعيدة تاركًا جثة كاظم في مكانها.

فُتحت المقبرة.

***

مقبرة احتلها الظلام لآلاف السنين وحان موعد تحريرها ببصيص من نور خافت يغتال عتمتها المُزمنة يأتي من بابها العلوي المُغلق منذ عهد حورس ودُفن سر مكانها في صدور حورس ونفتيس وإيزيس وختمتي الثاني، هؤلاء فقط من تبقوا أحياء بعد مراسم دفن الشر، ست، رجل الشيطان الكبير، بعد أن أمر حورس بقتل كل من حضروا تلك المراسم من عمال وجنود قاموا بتنظيف المقبرة ودفن أصحاب الدماء المقدّسة الأولين ليذهب خبر ست ومقبرته إلى جحيم النسيان.

هبطت شهرزاد كاظم درجات سلم طويل حجريّ وفي يدها مصباح لاسلكي يشق بضوءه الضئيل ذلك الظلام الموحش وفي جوارها السيد فاروق وزميلها أنور علّام واحدًا من ضمن طاقم فحص المومياوات التابع للهيئة العامة للآثار، سلم طوله سبعون مترًا، وصلوا إلى أرض المقبرة الرخاميّة، حركت شهرزاد مصباحها لتكتشف المكان متوجسة، منحوتات على الحائط المواجه لها يتوسطها نحت لحورس وهو يقتل ست بحربته، تلك الرسمة المتكررة على جدران عدة معابد أخرى،

تقدّمت إلى الأمام باحثة عن مبتغاها في تلك المقبرة القديمة، ظهر تابوت ضخم في عمق المقبرة، تحركوا ناحيته، وقفوا أمامه، مدّت شهرزاد يدها تتحسسه، سائل أحمر لزج يغطيه بالكامل، بمجرد أن لمسته يد شهرزاد حتى تراءى لها أشخاص ضُلع الرؤوس يقطعون شراييهم بأنصال في أيديهم، ارتعدت شهرزاد وعادت للوراء، اختفوا، لاحظ فاروق ارتباكها، سألها:

– أهناك شيء ما يزعجك يا شهرزاد؟

أشارت له بالنفي، تحسست السائل مرة أخرى، همست لأنور علّام:

– أريد عينة من هذا السائل يا أنور.

– حسنًا يا دكتورة.

مسحت بيدها جزءًا من ذلك السائل فظهر تحته كلمات بالهيراطيقية ترجمتها شهرزاد هامسة تقرأها:

– فلتحذر أيها العابر، هنا يرقد الشر كله.

***

انطلقت سيارة مخصصة لنقل المومياوات حاملةً التابوت المُكتشف بعد إخراجه بسلام وحرص شديد من المقبرة في حراسة سيارات من الشرطة بعد إبلاغهم بكشف أثري جديد في منطقة صحراء الجيزة، صاحبت شهرزاد كاظم وزميلها أنور علّام والسيد فاروق ذلك التابوت نحو متحف الحضارة الجديد ليخضع صاحبه لفحص شامل قبل أن يُعلِن اكتشافهم للعامة.

بينما انشغلت باقي بعثة الآثار في إنارة المقبرة ودراسة

المنحوت على جدرانها والمرسوم ببراعة منقطعة النظير بألوان زاهية كأنها نُحتت ولُونت بالأمس القريب.

في قلب مدينة الفسطاط التاريخية بمنطقة مصر القديمة بالقاهرة حيث يطل على بحيرة عين الصيرة، يقع واحد من أضخم متاحف الآثار في العالم، تصل مساحته إلى أكثر من 140 ألف متر مربع، متحف الحضارة المصرية الجديد.

تحرك العمال حاملين التابوت على عربة مخترقين ذلك المدخل الطويل المحاط على جانبيه بالأعمدة الضخمة، ومنه وصولًا إلى قاعة العرض المؤقتة، والتي تعرض الكثير من الصناعات المصرية علي مر العصور.

مرورًا بغرفة المومياوات الملكيّة وضع العمال التابوت داخل مصعد ضخم يوصلها لبهو الفحص العلويّ المجاور لمكاتب الإدارة العامة للمتحف.

ثُرك التابوت في منتصف البهو فوق طاولة رخاميّة كبيرة ووقف العاملون مترقبين كشفًا جديدًا يُضاف إلى إنجازاتهم، انشغل البعض بتنظيف الأتربة العالقة به عبر آلاف السنين والدماء بفرشات خاصة حتى صارت الكتابات الهيراطيقية فوق التابوت واضحة تمامًا.

"التحيات لك يا أبي، جئت إليك، لأفتح فمك مع بتاح، ولأمجدك مع تحوت، أرد لك قلبك في أحشائك، كي تتذكر ما نسيتَ، أعطيك خبزاً، لتأكل متى تشاء، كما كنتَ تفعل على الأرض، أعطيك ساقيك وتسرع بنعليك، في ترحالك مع ريح الجنوب، وفي رفقتك لريح الشمال، لتكن سريع الخطو كلمح البصر، وتذهب إلى هناك في غمضة عين، ولأمنع عنك الشر

أنت وعموم البشر، فلتحذر يا أبي، فلتحذر أيها العابر هنا يرقد الشر كله".

أحد رجال أمن المتحف المدعو "سيد عبد الصمد" وقف في خلفية البهو يتابعهم منبهرًا.

شهرزاد كاظم تقرأ تلك الكتابات بتركيز شديد، نظرت للسيد فاروق هامسة:

– متون الأهرام.

– ما عدا الجملة الأخيرة، أليس كذلك؟

أشارت شهرزاد إليه بالإيجاب، كانوا يحفظونها ظهرًا عن قلب كأي باحث في التاريخ المصري القديم، نصوص جنائزية دُونت على الجدران الداخلية لبعض الأهرامات، همست شهرزاد متوجسة شاردة:

– فلتحذر أيها العابر، هنا يرقد الشر كله.

قطع شرودها زميلها أنور علّام مذهولًا:

– التحليل المبدئي للسائل اللزج يُظهر أنه دماء مختلطة.

– دماء!

– دماء بشريّة، العجيب أنها غير متجلطة وكأنها أُسيلت للتو قبل دخولنا إلى المقبرة.

التفتت شهرزاد إلى فاروق المندهش، تحدّث:

– هذه المقبرة مُغلقة منذ آلاف السنين، لا يمكن يا أنور، أمتأكد أنت؟

– نعم يا دكتور فاروق، متأكد تمامًا.

نظرت شهرزاد إلى التابوت مبهوتة، اقتربت منه، همست لهما:

– سنعرف الكثير بعد أن ندرك من يقبع داخل هذا التابوت.

أشارت شهرزاد إلى بعض زملائها، أمسك أحدهم كاميرا صغيرة ليصور ما يحدث عن قرب بالإضافة إلى الكاميرا الكبرى الملتقطة للبهو، تحسست شهرزاد التابوت باحثةً عن مفتاحه الداخلي حتى وجدته، ضغطت عليه للداخل حتى انفتح التابوت على مصراعيه لتظهر المومياء المجهولة بالنسبة إليهم حتى اللحظة، لأول مرة يرون علامات وطلاسم مكتوبة على كفن المومياء الكتّانيّ، ذلك الكفن المتشبّع بالدماء هو الآخر، تحسسته شهرزاد مرتبكة، ذلك القناع على وجه المومياء هو قناع الإله ست إله الشر عند القدماء، تعرفه جيدًا، رأس حيوان أسطوري مزيجًا بين الغراب والحصان والذئب، شعرت بحيرة شديدة متوجسة.

هناك علاقة ما تربط انتحار جدتها بذلك الاكتشاف الأثري، بل والأكثر من ذلك فقتل أمها منذ خمس وعشرين عامًا له علاقة بما يحدث الآن، هكذا استنتجت في عجالة، مدت يدها لتنزع القناع عن وجه المومياء في ترقب شديد، خلعته عن وجه المومياء ليظهر بنيًا مُحنطًا، حالة من الذهول تصيب الجميع من حولها، الجميع يعرف ذلك القناع جيدًا، قناع الإله ست الأسطوري، من آمنوا بعدم بشريّته مطلقًا في ماضٍ امتلأ بحكايات وأساطير لا وجود لها.

- 10 -

اليوم السادس والثلاثون

صباح باهت الألوان المميزة للأشياء في عالم بلا عقل في مستشفى العباسية للطب النفسي، مرضى يأكلهم الصمت والحيرة بسبب حقائق رأتها نفوسهم ولم تتحملها عقولهم فسقطوا في بئر من الجنون، كل وحقيقته، لكنهم في النهاية اجتمعوا في مكان واحد، وبالرغم من آلاف الأسوار الوهميّة حول تلك العقول الغائبة، حاول يوسف بهلول سبر أغوار أسرارهم اللا نهائية في رحلات متتابعة لشواطئ مدنهم المهجورة أملًا في رسو سفن عقولهم الجامحة يومًا ما.

في بناية منفصلة وُضعت الحالات النسائية في عنابر مُجهزة يفصلهم عن عنابر الرجال حديقة واسعة بها عدد من الأشجار الساقطة أوراقها الخاوية فروعها الراسخة في مهب الرياح.

اقترب الطبيب يوسف بهلول من الممر الداخلي بين عنابر السيدات مضطربًا، زفيف الرياح يتردد بقوة في أروقة المستشفى متسللًا عبر بعض النوافذ المكسور زجاجها، الأمطار الغزيرة لا تتوقف في الخارج والبرودة تغتال أي دفء محتمل، صوت صرخات نسائية يتعالى، صوت مرعب للغاية، ممتزجًا مع صوت خبطات متتالية، الإضاءة العلوية للممر تتلاعب موشكة مصابيحها على الاحتراق، لا شيء يظهر أمام يوسف فالممر خاويًا تمامًا من أي مرضى أو عاملين بالمصحة، انحرف يسارًا ليقف مذهولًا، في الممر الجانبي

تقف كل نزيلات العنابر عن بكرة أبيهم بأعدادهم الكبيرة على جانبي الممر تخبطن رؤوسهن في جدران الممر الجانبي على جانبيه، تصدرن صرخات مؤلمةً ومع ذلك لا تتوقفن عن تلك الخبطات الهستيرية، عيونهن جاحظة وكأنهن على وشك الموت، تتساقط دمائهن على الجدران وتنزلق تحت أقدامهن الحافية، غرفة في نهاية الممر ينفتح بابها وينغلق بقوة محدثًا صوتًا جذب انتباهه، تعجب، تلك الغرفة التي انتحرت فيها الجدة رمزية حالته السابقة، اخترق صفي السيدات من دون أن يتدخل لمنعهن عما تفعلن، الإضاءة العلوية تتوقف بغتة ويسود الظلام الجزئي مع ضوء خافت لنهار لم يبزغ بعد فالشمس تختفي خلف سحب لا تنتهي وزخات الأمطار تزداد ضرباتها بضراوة على زجاج النوافذ وكأنها تريد أن تكسرها بأكملها، اقترب يوسف من الغرفة متوجسًا، مد يده وأمسك بابها وأطلّ بحذر داخلها، هاله ما رأى، رمزية الجدة تقف في منتصف الغرفة تبتسم له هامسة بصوت أشبه بفحيح أفعى:

– يوسف.

اقترب منها مشدوهًا:

– رمزية!

اقتربت منه، أخرجت سكينًا في سرعة متناهية وذبحته، سقط يوسف أرضًا مبرق العينين وأخر ما رآه ذلك الشعار المرسوم على الحائط خلفها بالدماء، صولجان واس.

ظلام مباغت وصمت مريب للحظات قطعهما انتفاضة يوسف على كرسي مكتبه بعد أن ناداه أحمد عثمان مدير أمن المستشفى الجالس أمامه متعجبًا ليقطع شروده:

– يوسف، يوسف، ماذا حدث؟

– هاه، لا شيء، أظن أنني أحتاج إلى بعض الراحة.

– كلنا نحتاج إلى ذلك حقًّا.

– عمّ كنا نتحدث؟

– عن ملاحظتك للتشابه بين حالة رمزية وتلك الصحافية المدعوة!

– وفاء، وفاء ورمزية كانتا زميلتين في نفس العنبر قبل فصل كل منهما في عنبر انفرادي، تقريرهما الطبي متقارب جدًا على الرغم أنهما لم تتحدثا على الإطلاق مع بعضهما بعضًا، ولكن الاثنتين لهما الهلاوس نفسها، الأعراض المرضية نفسها، التحذير نفسه.

– أي تحذير؟!

– خطر كبير يقترب، هكذا قالت كل منهما على حدة، وفاء انتحرت هي الأخرى في عنبرها بالطريقة نفسها بعد أن رسمت الشعار نفسه على جدران الغرفة بدمائها.

– أي خطر؟ ألم تذكران من أي خطر خافت كل منهما؟

– الشر، الشر يقترب، جملة قالتها الاثنتان قبل انتحارهما بيوم واحد.

– هل تقصدان ذلك الشعار الذي أخبرتنا عنه حفيدة رمزية ؟ شعار الملك ست إله الشر عند القدماء؟

– بحثت قليلًا عن ذلك الشعار على شبكة الإنترنت وعثرت على جماعة تعبد ست معتقدة أنه هو ذاته الشيطان إبليس

ويتوقعون تجليه للناس ظاهرًا ويُقدّمون قرابين بشريّة له من فترة لأخرى.

– أتقصد أن رمزية ووفاء كانتا عضوتين في هذه الجماعة وقدمتا أنفسهما قرابين للشيطان.

– كل شيء جائز.

– ما هذا الهراء؟

– أتفق معك طبعًا، لكن دوري كطبيب نفسي أن أحاول الرؤية من وجهة نظر المريض، أن أرى بعينيه، عندها سيبدأ أول طريق العلاج.

– حسنًا، حسنًا.

همّ أحمد بالخروج من المكتب فأوقفه يوسف:

– إلى أين؟

– سأصنع لنا كوبين من السحلب قبل أن يهجم الشر علينا.

قالها ضاحكًا وخرج تاركًا يوسف في دوامات من الألغاز المتشابكة.

***

نامت شهرزاد على كنبة صالة بيت البساتين البيضاء بعد يومٍ عصيبٍ قضتّه في المتحف، حنين جارف لأحضان والدها، ما زالت تتمنى عودته بين لحظة وأخرى ليخبرها أنه لن يتركها مجددًا فريسة الوحدة والشقاء بعيدًا عنه، غابت في سبات على حافة الجحيم وهي تتذكر ضحكاته معها ودفئه المفقود يُعذبها.

رأت نفسها مجددًا داخل ذلك الممر الأسطوانيّ الطويل طفلةً بنت ثمانِ سنوات تبكي بشدة وتصرخ:

– أبي، أبي، أريد أبي.

ثم تداعت عدة لقطات متصارعة داخل رأسها كبحور هائجة تتقاذفها بين أمواجها الهائلة، رأت جدتها تخنق أمها الجاحظة العينين، رأتها ميتة، ثم رأت رمزية تقف أمام حائط غرفتها المرسوم عليه شعار صولجان واس تتمتم بكلمات غير مفهومة، الطفلة شهرزاد تبكي أكثر وأكثر في الممر الأسطوانيّ، ضباب كثيف يملأ المكان، رجل نحيف يخترق الضباب وتراه شهرزاد بالكاد، رجل يمتلئ جسده بالطلاسم السحريّة البارزة، يمسك في يده صولجان واس، شهرزاد الطفلة تصرخ عاليًا، والدها يناديها، تسمعه شهرزاد:

– النجدة يا شهرزاد.

تتلفت شهرزاد حولها ولا تراه، ضباب يزداد، الأصوات تتداخل، صرخات، دماء كثيفة تخضب قدميها، تتراجع شهرزاد إلى الوراء، تتحول الدماء إلى أمواج عاتية، تركض شهرزاد وتركض معها الطفلة في الممر الأسطوانيّ، ساعة ضخمة بحجم الكون تراها شهرزاد وتستمع إلى صوت حركة عقاربها الرتيبة، طيور عملاقة تظهر، تحاول الطيور التقاطها، تركض شهرزاد والطفلة، أحد الطيور تلتقط الطفلة الصارخة، تسقط شهرزاد في بحر الدماء، تغرق، جدتها رمزية تقف أمام أريكتها في بيت البساتين تبتسم، شهرزاد تنازع، تختنق، تقترب رمزية منها وتمد يدها وتوقظها:

– شهرزاد، شهرزاد، شهرزاد.

تفتح شهرزاد عينيها مفزوعة منتفضة وتنظر حولها، كل شيء ساكن سكون الموت، تتنهد، تنهض لتشرب كوبًا من الماء، يرن هاتفها المحمول، تتجه ناحيته، تنظر إلى اسم المتصل، الرائد فخر الدين، ترد متلهفة، تسمع صوته حزينًا:

– آنسة شهرزاد، عثرنا على والدك الدكتور كاظم مروان.

***

توقفت الأمطار لفترة في ساعة متأخرة من الليل ومع ذلك ما زال القمر مختفيًا خلف السحب المحتقنة، في بُقعة يملؤها الدنس في مقابر باب الوزير وبين الأموات وشواهد قبورهم أُقيمت مراسم سريّةً لسحرٍ سفليّ لمصلحة أحد رجال الأعمال الكبّار، جثث أموات وشموع متناثرة وطلاسم مرسومة على الأرض في ساحة تلك المقبرة الكبيرة الخاصة بعائلة رجل الأعمال.

استلم الساحر البالغ من العمر ستين عامًا تلك الجثث الطازجة من التربيّ المسئول دائمًا عن جلب طلبات مغاوري بك الذراع الأيمن لرجل الأعمال الذي لم يظهر ولو لمرة واحدة في هذا المكان ولكن كل شيء يدور هنا تحت إمرته، خمس جثث لرجال ونساء حديثي الدفن يقوم الساحر بنزع أكفانهم حتى يصيروا عرايا تمامًا وتُدهن أجسادهم بدماء بشريّة يجلبها مغاوري معه في كل مرة بمعرفته، مرة كل شهر تُدار تلك المراسم سرًا وبعدها تعثر الشرطة على جثة مذبوحة مُلقاة في القمامة أو غارقة في النيل مشوهة المعالم ولا يُستدل على صاحبها أبدًا، يختار مغاوري ضحاياه بعناية فائقة من المشردين وأطفال الشوارع ليملأ قنينته دائمًا من

دماء بشريّة طازجة.

تمتم الساحر بتعاويذ سحريّة وهو ينثر الدماء على أجساد الموتى ورسم بيده حولهم نجمة خماسيّة على الأرض، غراب ينعق عن قرب، سيارة تقف أمام المقبرة المغلق بابها، يشعر الساحر بقلق وينظر ناحية مغاوري بك، يشير إليه بالاطمئنان:

– أكمل عملك.

تحرك حينها ناحية باب المقبرة وخرج ليقترب من سيارة تنتظره مفتوح نافذتها، ابتسم لسائقها:

– في الميعاد مضبوط.

– طول عمري مواعيدي مضبوطة.

ترجل سائق السيارة، إنه أحمد عثمان مدير أمن المصحة، ابتسم إلى مغاوري واتجه ناحية حقيبة السيارة الخلفية وفتحها، أخرج منها حقيبة سوداء وناولها لمغاوري، فتحها، مجموعة من الأدوية المحظور تداولها إلا بأمر طبيب، أدوية مخدرة، أخرج الرجل لُفافة كبيرة من النقود وناولها لأحمد:

– حاول أن تُزيد الكمية في المرة القادمة.

– لا يمكن أكثر من ذلك، الاستمرار أهم من الكمية يا عزيزي.

– حسنًا لا بأس.

– سيجارة!

يخرج أحمد علبة سجائره بعد أن يضع النقود في جيب معطفه الأسود الكبير.

يشير بواحدة إلى مغاوري ولكنه يرفض، يُشعل سيجارته

وينفث منها نفسًا عميقًا:

– أتعرف يا مغاوري؟ المكان هنا يُثير كثير من التساؤلات في نفسي.

– أي تساؤلات؟

– كل ما نفعله في هذه الدنيا لا شيء، في النهاية سننام في قبر صغير لمئات السنين وربما آلاف من دون أن نحصل ولو على جزء بسيط مما نجمعه في الدنيا.

– كف عن فلسفتك تلك هيا، انصرف.

– سلام.

ركب أحمد سيارته وانطلق بعيدًا، من دون أن يُدرك أنه كان على مقربة من بؤرة من بؤر الدَنس الأرضي الباحث أصحابها عن تجلي الشيطان، رجل الأعمال الشهير أحد أعضاء جماعة (تمبل أوف ست).

***

الساعة التي هي بحجم الكون مستمرة في حركة عقاربها الرتيبة معلنة استمرار الحياة رغمًا عن كل الدَنس المُغرق للأرض، ما زال هناك فرصة للإنقاذ، طريقان تراهما بوضوح من أعلى سيتقابلان قريبًا، طريق شهرزاد وطريق المومياء المُكتشفة، الأول تتحرك فيه شهرزاد كاظم عبر ممر طويل في مشرحة زينهم لتقف مغرورقة عينيها بالدموع أمام جثة مغطاة برداء أبيض في غرفة داخل المشرحة، الرائد فخر الدين يقف في جوار الجثة متأثرًا ويسألها قبل أن يُزيل الغطاء عن الميت:

– متأكدة!

أشارت إليه بالإيجاب، رأت شهرزاد والدها متآكل الوجه يهاجمه التعفن وجزءه العلوي مفصولًا عن السفلي وصدره مُهترئًا منزوع القلب، منحوت على صدره بآلة حادة شكل ما، عرفته للتو، صولجان واس اللعين الذي يطاردها كعزرائيل، انهارت شهرزاد حين رأته، سقطت مغشيًا عليها.

أما الطريق الآخر كان في متحف الحضارة الجديد بالتحديد في بهو فحص المومياوات المُكتشفة حديثًا، انخرط أنور علّام في بعض التحاليل الخاصة بالمومياء على طاولة رخاميّة كبيرة ناظرًا في ميكروسكوب وفي جواره حاسوب إلكتروني كبير، بينما كانت المومياء ممددّة على طاولة رخامية خلفه بعد أن قاموا بإخراجها بحرص من تابوتها القديم نازعين كفنها الكتاني المُشبع بالدماء الذي خضع للفحص هو الأخر.

في اللحظة التي سقطت فيها شهرزاد كاظم مغشيًا عليها تحركت يد المومياء حركة واضحة كأن الروح دبت فيها للحظة واحدة، ثم ظهر بالقرب من المومياء بغتة فتاة صغيرة في عمر الثمان سنوات وعلى عينيها انسدل شعرها الكثيف المبلل، للوهلة الأولى تُدرك أن هذه الطفلة خرجت لتوها من مياه أغرقتها واقتربت من المومياء بابتسامة مُخيفة، مدت يدها والتقطت قناع ست الأسطوري الموضوع في جوار المومياء واختفت في اللحظة التي التف فيها أنور علّام ليشاهد المومياء في مكانها ولكنه يلاحظ شيئًا مريبًا، اقترب أنور من المومياء متوجسًا مبرقًا العينين، بحث حوله في كل

مكان، سحقًا!، لقد اختفى القناع.

- 11 -

اليوم التاسع والعشرون

جبل آشمون - 1000 عام بعد الطوفان العظيم

ليلٌ كئيبٌ محفوفٌ بالمخاطر القاتلة بين حروب وفيضانات وأمطار هائلة لا تتوقف غرقت لها الزروع واستحال معها العيش في الوديان والسهول فقد تحولت أغلبها إلى أراضٍ بور نتيجة التغير المناخي الشديد بعد انحسار الطوفان العظيم منذ أكثر من ألف عام.

تغيرت الأرض بكل ما عليها، كأن الله بدلّها، أولئك الناجون من الطوفان انتشروا في الأرض لثلاثمائة عام وتوالت الأجيال وراء الأجيال ولم يعد هناك مُعمّرين كما كان من قبل فأكبرهم يموت على مائة وخمسين عام إن لم يكن تحت المائة، عُمرت الأرض من جديد وتجددت بالموت، غرقت الحضارة العظيمة المتطورة وباتت الحياة أقرب للبدائية، لم يصدق الأحفاد حكايات الأجداد المتوارثة التي رواها راكبوا سفينة الخلاص - كما أُطلق عليهم - عن حال البلاد قبل الطوفان واعتبروها أساطير غير حقيقية فالحاضر أسوأ بكثير من تلك الحكايات.

هرع الناس إلى الجبال وعاشوا على صيد الحيوانات، تحاوطهم المخاطر من كل اتجاه كحملان وقعت في غابة من الغيلان المفترسة.

منذ خمسمائة عام نجح الشيطان في دب الخلاف من جديد بين أحفاد الناجين بين أخين فقتل أحدهما الآخر، تكررت

قصة قابيل وهابيل من جديد وكأن البشر لا يتعلمون أبدًا، كأن الشيطان لن يكلّ أو يملّ حتى يجرجر أقدام كل بني آدم نحو الجحيم، هرب القاتل وأسس لنفسه مجتمعًا جديدًا فاجرًا بعيدًا عن تعاليم الأجداد ووحدانية الله الخالق الأحد وذات ليلة تجلى له إبليس رؤى العين بجناحيه البديعين الخلق وحفّظه ناموسه اللعين، أُعيدت قصص الكفر من جديد، الآلهة الزائفة والتاسوع المُدنّس والصراع بين رع وأتوم.

عاد الشر من جديد في موكب ضخم تقوده الشياطين وبمرور العقود زاد واستشرى حتى هُدد الأخيار واندلعت الحروب البدائية بأقل الأدوات الحربية رغبة في فناء الموحدين.

جيش القاتل امتلك سلاحًا قويًا اهتزت له القلوب، جيش آخر من الأسود المدرّبة الجائعة تتقدّم جيشهم، حيوانات مفترسة نشرت الذعر في قلوب الأحفاد الموحدين الّلذين فروا إلى أقطار بعيدة وتفرقوا كحبات تتناثر من عُقد انقطع عنوة، البعض أخذ نفس طريق الجد الكبير نقراويس نحو مصر ولكن لم يكن هناك مكانًا للجنة الوافرة حول ضفاف النهر العظيم كما كانت في الماضي السحيق -كمت، الأرض الخصبة - فهرعوا إلى الجبال والهضاب يحتمون بالكهوف ويحاربون الطبيعة والشر مجتمعين من أجل بقاء نسلهم، بات الإنسان ضعيفًا وسط أخطار هائلة في عالم يوشك على هلاكه ليصبح ذكره هباءً منثورًا، كأنه لم يكن يومًا على هذه الأرض.

جلس الجد فيلمونيس الحكيم على سفح جبل آشمون ناظرًا إلى السماء الممتلئة بالسحب وعينيه مغرورقة بالدموع، على مقربة من جثمان ابنه الميت فجر اليوم نتيجة هجوم ثعالب مفترسة على تجمعهم الجبليّ، ملتهمة قرابة العشرين رجلًا وطفلًا من أبناء الجبل.

ما يقرب من خمسة آلاف بشريّ يعيشون هناك وقد أطلقوا على مجتمعهم اسم آشمون نسبة إلى أحد أجدادهم المهاجرين الجدد.

اجتمع القوم حول الجد فيلمونيس في هذه الساعات المتأخرة من الليل حاملين مشاعلًا من النار بعد أن دُفن جميع القتلى ما عدا ابن فيلمونيس، حكيمهم الكبير، من يلجؤون له دائمًا في أمورهم وتشريعات حياتهم، لقد ظل يومه بأكمله على هذا الحال ولم يستطع أحدهم أن يثنيه عن أحزانه ولو بكلمة، فقط وقفوا في جواره صامتين، اقترب الجد من جثمان ابنه المتمزق لحمه وهمس بعد ساعات طويلة من صمت يغتاله بكاء لا يتوقف:

– اصحَ يا بني، خذ رأسك واجمع عظامك، اجمع أطرافك وانثر الغبار عن جسدك، خذ الخبز الذي لا يفسد، قف أمام الأبواب التي تُحجب عن عامة الناس، سيأتي إليك حارس الباب ويمسك بيدك، سيأخذك إلى السماء، ستجلس مع الأرواح ويلتف حولك الكبار منهم، قم يا بني، فإنك لن تموت أبدًا.

أشار إلى مجموعة من الرجال حوله ففهموه، الآن يسمح لهم بالدفن، لماذا الآن؟ لا أحد يدري، ربما كان عليه أن يودعه إلى

الأبد، لن يبالي أحد بسؤاله، وهل يُسأل الحكيم عن أفعاله؟ اتجهوا ناحية جثمان ابنه وحملوه فوق أكتافهم ومشوا به وتبعهم الآلاف من قومه، همس الحكيم:

– ما الحياة إلا سير نحو الموت، وما الموت إلا سير نحو الخلود، سنلتقي يا ولدي، سنلتقي لا محالة.

دفنوه في كهفٍ صحراوي ووقفوا فوق قبره يدعون له، هطلت الأمطار خارج الكهف بغزارة، عاد القوم أدراجهم بعد أن انطفأت شعلاتهم بينما بقي الحكيم جالسًا في جوار قبر ابنه السابع، حكيم مات له سبعة أبناء ولم يتبق له غير ابن واحد فقط من الفرسان، أبريس الفارس الشجاع المغوار، من يحارب مع أولئك الذين خرجوا في جمع كبير على رأس جيش آشمون لدفع جيش الأشرار عنهم.

سقط فيلمونيس في غفوة جبريّة، أظلم العالم من حوله وغرق في ظلام لا يُضاهى.

رأى فيلمونيس روحه تُحلق عاليًا وتخرج من الكهف صاعدةً إلى السماء، تخترق السحب وتعلوها ثم تعبر غلافًا ذهبيًا كأنه السماء، طار من دون جاذبية بين نجوم مشتعلة من دون أن يمسسه سوء، سكون مريب، نظر إلى أسفل، رأى كرة مستديرة ضخمة، هاله ما رأى، هل خرجت روحه إلى فضاء كونيّ بعيد؟ هل مات كأبنائه ويوشك الآن على لقاءهم؟، ساعة ضخمة ذهبيّة تتحرك عقاربها محدثة صوتًا هائلًا بإيقاع رتيب، يراها فيلمونيس، يقترب منها كأن هناك قوى خفيّة تُدير حركته، تلمّس عقاربها، بغتة، عاد أدراجه، ابتعد عن النجوم واخترق الغلاف الذهبيّ وهبط إلى الأسفل نحو

السحب، ثم عاد إلى الأرض من جديد، وقف أمام نفسه، رآه نائمًا داخل الكهف والأمطار لا تتوقف، صوت يغتال سكونه، نظر خلفه، جيوش من الأسود الضخمة تقترب، صوت زئيرها يخلع قلبه، صرخ ناحية جسده النائم:

- اصحَ يا فيلمونيس، ستلتهمك الوحوش، اصح.

لم يتحرك، برق يملأ السماء ورعد يتردد تهتز له الأرض بما عليها، تظهر طيور عملاقة متوحشة على مدى البصر، طيور بيضاء ضخمة لها أعين ثاقبة، انقضت على الأسود وحملتها لعنان السماء ثم تركتها تسقط لترتطم بالأرض وتموت متحولة إلى أشلاء، صوت آخر ينضم لكوابيسه ليرى ما برقت له عيناه، ثعابين هائلة الحجم تسعى حوله، تتشابك، سمع فحيحها مرعوبًا، صرخ:

- اصح يا فيلمونيس.

رجلٌ من العماليق يدب أقدامه في الأرض بين أشلاء الأسود راكضًا مقتربًا من الكهف، جثا على ركبتيه لاهثًا ناظرًا إلى روح فيلمونيس داخل الكهف بعد أن مد يده وجمع الثعابين وسحقها تحت قدميه، نظر له مرتعدًا:

- جدد العهد أيها الحكيم.

- أي عهد؟

- جدد العهد أيها الحكيم، هناك داخل رأس الإله رع عند الصرح العظيم ستجد إجابتك.

جدد العهد تصمد أنت وذريتك أمام شر جارف.

السماء تهتز برعد لا مثيل له، برق يخطف الأبصار، اختفت

الطيور بعد أن تحول جيش الأسود إلى أشلاء مختلطة وامتلأت الأرض بعبق دمائهم الممتزجة، سأله فيلمونيس:

– من أنت؟

– أنا صاحب العهد، أنا حورس.

ابتعد بعدها في هدوء واختفى وسط الأمطار على مدى البصر، ساد الظلام من جديد، اقتربت الروح وامتزجت بهدوء مع الجسد النائم، نهض فيلمونيس متعجبًا من غفوته، برقت عيناه هامسًا:

– عهد حورس!

***

صباح جديد يحمل تحديات الماضي البعيد، عاد الحكيم فيلمونيس إلى كهفه الجبليّ واستعد للرحيل بمفرده في رحلة محفوفة بالمخاطر، الأشرار على مقربة من آشمون وجيش أرتيس ابنه الوحيد الآن مرابضون في انتظارهم عبر الطريق الكبير المؤدي إلى الصحراء الواسعة، مستعدين للدفاع عن أهلهم ووجودهم.

ارتدى فيلمونيس رداءً صُنع من فرو الثعالب النافقة وامتطى جواده وانطلق ضاربًا بعرض الحائط كل تحذيرات قومه لمنعه من إلقاء نفسه إلى التهلكة، أدرك الحكيم أنها ربما تكون الفرصة الأخيرة لإنقاذ قومه من الهلاك، فرصة تستحق التضحية والمخاطرة بحياته، تذكر تلك القصة المتوارثة عن الأجداد قبل الطوفان العظيم، قصة حورس وست، والأخوان المتصارعان على حكم البلاد ست وأوزيريس، من قتل

أحدهما الآخر وعاد ابن أوزيريس لينتقم من ست ويُفنيه، لقد أخذ حورس عهدًا على أحفاده ليضمن لهم السلامة والحماية من الشر الكامن في ست، لكنه لا يعرف ما هو ذلك العهد، وحتى تلك الرؤية التي حلم بها بالأمس لا تسعفه بأي شيء، اعتقد فيلمونيس أن هذه القصة مجرد ترهات وأسطورة ضمن أساطير قديمة عبرت مع الأجداد في سفينة الخلاص ولكن يبدو أنها الحقيقة الوحيدة في حاضرهم المهدد بالخطر.

ابتعد فيلمونيس بجواده عن المنطقة الجبلية وسبر أغوار مياه النيل المُغرقة للأراضي والسهول نحو ذلك الصرح العظيم الذي يعرف مكانه جيدًا في الجانب الغربي من العاصمة القديمة المهجورة، مر بين حطام البيوت والجدران المهدمة التي يسكنها السباع والوحوش وأسراب الأسماك تتلاعب تحت أقدام فرسه، ورأى أطلال ذلك القصر الذهبيّ القديم المتناثرة أعمدته وسط المياه، الذهب، من حكى عنه القدماء بأنه كنز الشعوب ولكنهم اليوم في ظل ظروفهم الجديدة يعتبرونه والحجر سواء بل أن قليل من الحجارة تستر روعاتهم أهم بكثير من أعمدة الذهب تلك.

غربان جائعة تُحلّق فوق المدينة الغارقة باحثة عن طعامها من دون جدوى، وأخرى غارقة جيفها طافية فوق المياه، شمس تتوارى خلف السحب كعادتها، ربما لم يعرف الأحفاد رؤية مباشرة للشمس منذ قرون مضت.

بعد ساعات من الانطلاق وصل الحكيم فيلمونيس إلى الصرح العظيم، ترجل من فوق فرسه ووقف ناظرًا إلى ذلك

البناء الشامخ الحجريّ الضخم، التفت حوله إلى ذلك الخراب البعيد على مدى البصر وتساءل:

– ترى، هل سينجو الإنسان من كل ذلك الخراب يومًا ما؟

التف ليبحث عن تمثال الإله رع، وصفه الأجداد أنه قريب جدًا من الصرح الكبير الهرميّ، له رأس إنسان وجسد حيوانيّ مفترش الأرض في منتصف معبد الشمس، بحث عن بناية قريبة متهدمة ولكن لا أثر لها، الصرح العظيم تحوطه المياه من كل جانب، تغرق قدميه في المياه حتى منتصف جسده، على مقربة منه رأى شيئًا ما غارقًا داخل المياه، لحسن حظه أنه اتبع الطريق القديم البعيد عن النيل وإلا غرق هو وجواده في المياه بلا رجعة، يرى مجرى النيل ومياهه الهائجة الأمواج على مدى البصر.

اتجه ناحية ما يراه وجسده ينغمر في المياه أكثر حتى صارت رأسه فقط هي الناجية، مد يده يتحسس ذلك الشيء، جدار مهدوم، قرر الغوص إلى الأسفل فاتحًا عينيه، غطس تحت المياه ليرى على بعد قريب بقايا لأعمدة ذهبية وجدران من الجرانيت مُكسرة، رأى تمثال ثابت بأكمله تحت عمق قريب من سطح المياه، تمثال رع، بالتأكيد هو التمثال المقصود.

صعد إلى السطح ليلتقط أنفاسه، اتجه إلى فرسه وأحضر مطرقة كبيرة اصطحبها معه.. صمم على الغوص من جديد، اقترب من رأس التمثال، تحسسه مكتوم النفس، دار حوله، لا شيء ظاهر على الإطلاق، عاد إلى الوراء وأخذ يدق بمطرقته رأس التمثال الذهبيّ من دون فائدة، شعر بالإنهاك واقتربت

رئتيه على الاختناق، صعد إلى أعلى والتقط أنفاسه، هبط من جديد، دار حول التمثال من دون حيلة، كلمات حورس الزائر له في حلمه تتردد:

– جدد العهد أيها الحكيم، هناك داخل رأس الإله رع عند الصرح العظيم ستجد إجابتك.

جدد العهد تصمد أنت وذريتك أمام شر جارف.

مد يده وتحسس عينَي التمثال الجوهرتين الزرقاويتين، شعر أنهما تتحركان، أدارهما، هناك في جانب العينين بروزان من الذهب، ضغط عليهما، وقعت الجوهرتين في المياه تاركة فراغين كبيرين، مد يده في داخلهما ليجد مبتغاه، برديّة في الجانب الأيسر مُغلفة بغلاف مُحكم من مادة لا يعرفها، غلاف من البلاستيك المقوى، وقلادة في الجانب الأيمن مُغلفة في غلاف مماثل، صعد إلى أعلى ملتقطًا أنفاسه فرحًا، سبح ناحية فرسه، وقف والمياه تتساقط منه ليفتح الغلافين، فتح البرديّة العتيقة، كلمات لا يفهمها، مصاحب للبرديّة برديّة أخرى في داخلها، فتحها، مكتوب فيها باللغة الهيراطيقية التي بالكاد يفهمها فهو من القلائل الذين ورثوا علم تلك اللغة من الناجين على سفينة الخلاص، مكتوب فيها:

– عين حورس هي حاميتك، أوزوريس إله الغربيين هو حارسك. سيهزم كل أعدائك، وكل أعدائك هم جزء منك، قدّم قرابينك المقدّسة. من دماء أول طفل كل مائة عام ليحتمي البشر من الشر الكامن في ست.

أغلق الحكيم البرديّة الصغيرة، الآن يدرك ما هو العهد الذي قصده حورس، عهد الدماء المقدّسة، تصارعت الأفكار في

رأس فيلمونيس، أمسك البرديّة الأخرى ورأى توقيعات في هوامشها لأشخاص يبدو أنهم منذ تاريخ سحيق، أولهم آمون مائتي عام بعد الهبوط، أي هبوط يقصد؟ وآخرهم فيلمون، كبير كهنة آمون العام الألف الثامن والعشرين بعد الهبوط...

قرأ سطور تلك البرديّة من كلمات لا يفهم أغلبها، اهتز الكون من حوله وساد الظلام وكأن الشمس أطفأت بغتة، صوت أجشّ هاتفه وسط ذلك الظلام:

– يا قارئ الكلمات، الخير أم الشر؟

– الخير.

قالها فيلمونيس متوجسًا مترقبًا، لحظات صمت كعقود طويلة قطعها ذلك الصوت الأجشّ:

– هل تريد تجنب شر الشياطين؟ أم تريد معاونتهم؟

– أعوذ بك من شر الشياطين وأعوانهم.

– أحسنت يا حكيم، لك ذلك، لن ينالك شرهم أبدًا.

– لكن جيش الأشرار يطيح في الأرض فسادًا ويوشك الأخيار على الفناء.

– قدم قرابينك المقدّسة يا فيلمونيس تصونك أنت وأحفادك إلى أبد الدهر، حافظ على عهد حورس.

– قرابين مقدّسة!

– أول طفل كل مائة عام، لقد سبق السيف العزل، وانطلق موكب الشر ولا يوقفه غير أصحاب الدم المقدّس، ذلك قدرهم أن يدفعوا ثمن شرور الآخرين، ثمن الحماية، ما دام الشر

متجددًا لا بد للخير أن يقدّم قرابينه ليحميكم، ذلك قدركم.

طوى الحكيم البرديّة وأعادها في غلافها الحامي لها من تلك المياه الغارق فيها كل هذه السنين الطويلة، الحكيم فيلمونيس كان أول بشريّ ينطق كلماتي بعد مرور أكثر من ألف عام اعتقدت فيهم أن البشر انقرضوا إلى غير رجعة، بعد أن خبئني الكاهن فيلمون في عينيّ تمثال رع بعد أن بلغه نبأ الطوفان العظيم ودس معي قلادة حورس، حيث حافظ الكهنة الواحد تلو الأخر على تقديم القرابين المقدّسة لأول ابن لهم كل مائة عام تنفيذًا لإرادة حورس وحفاظًا على عهده.

من السهل استنتاج الأحداث التالية للعثور عليّ، في غضون أيام دُقت الطبول على سفح الجبل وأُرسل إلى الابن الوحيد أرتيس ليعود من ساحة الحرب المنتظرة، في البداية رفض أرتيس العودة فمستطلعينه يؤكدون اقتراب جيش الأشرار يتقدمهم جيش من الأسود، لكن الرسول أخبره أن والده يملك حلًا نهائيًا لتلك الحرب، عاد وتحدث مع والده الحكيم ثم جُهزت المراسم ووقف الناس شهودًا عليها على سفح الجبل تحت شمس مختبئة، جثا أرتيس تحت قدميّ والده مطاوعًا أوامره من دون نقاش، عيون مترقبة تتابعهما، هوى فيلمونيس ببلطة حادة فوق رقبة أرتيس فقطعها، تدحرجت رأسه أرضًا وخضبت قدميه بدماء ابنه المقدّسة، سالت دموعه، صاح في قومه:

– إنه العهد، عهد حورس، به ندفع الشر عنا.

في لحظتها جاءه أحد المستطلعين بنبأ رقصت له قلوبهم،

لقد ماتت جميع الأسود المتقدمة لجيش الأشرار بغتة من دون سابق إنذار بوباء انتشر فيهم كالنار في الهشيم وعاد الجيش أدراجه خائفًا.

هللوا:

– المجد لحورس، المجد لحورس.

نظر الرجل إلى رأس ابنه أرتيس المقطوع ثم التفت لأحفاده من أولاده الثمانية مبتسمًا أملًا في مستقبل كاد أن يفنى هامسًا:

– عين حورس هي حاميتك، أوزوريس إله الغربيين هو حارسك، سيهزم كل أعدائك، وكل أعدائك هم جزء منك.

- 12 -

اليوم السادس والثلاثون

صولجان واس، عصا الشيطان ذات الرأس المدببة، شعارٌ شاهدٌ على دماءِ البشر عبر العصور، تشتم عبقه الممتزج برائحة العطن الخانق بمجرد رؤيته، سواء كان دمًا مقدّسًا أو مدنسًا فكلاهما يجريان كنهرين متقابلين نحو مصب واحد كالسراب البعيد يدفعهما إلى فيضانات لا تتوقف.

كنت أتنقل بين أيدي الكهنة الوارثين للدم المقدّس في سرية شديدة مع قلادة حورس، من اعتقدوا أنهم مكلفين بحماية البشر من الأشرار ومن الشر الأعظم المتربص بهم فحافظوا على قربانهم المقدّس عبر آلاف السنين مهما تغيرت الحضارات وتطورت الثقافات، ظل البعض دؤوبين على تقديم أول طفل كل مائة عام قربانًا لتجديد عهد حورس.

الآن وقد افترقت البرديّة عن القلادة لأول مرة منذ آلاف السنين، تلك التي بذل أتباع الشر كل جهودهم للعثور عليها، لم يكن صعبًا على الشيطان الكبير أن يقص قصته القديمة من جديد على أتباعه المخلصين ليشتد الصراع أكثر وأكثر بين بني البشر، أوهمهم أن خلاصهم لحكم العالم يرتبط بتلك البرديّة التي أخفاها أتباع حورس السريين.

في مرآة خيالية في عالم ضبابي تشهد عليه دقات عقارب الساعة التي هي بحجم الكون تقف شهرزاد كاظم مروان وعلى صدرها قلادة حورس ويواجهها الرجل المجهول صورةً لها في مرآتها اللعينة ممسكًا بالبرديّة، دقات طبول تُعلن

الجولة الأخيرة من الصراع، ترى من ينتصر؟ هل سيعود ست من جديد كما وعده إبليس؟

لم تستغرق شهرزاد كاظم كثيرًا من الوقت حتى تقرر سبر أغوار تلك الدماء الملعونة، شيء ما غامض يربط جدتها بكل ما حدث لها في حياتها من مصائب، قتل أمها ومحاولة قتلها وذبح والدها بهذه الوحشية وانتحار رمزية ذاتها، كل ذلك يتراءى لها في لقطات متتابعة مشترك فيها صولجان واس، شعار إله الشر والخراب عند القدماء، هل لتلك المقبرة التي عثروا عليها علاقة بكل ذلك؟ بحثت شهرزاد على صندوق والدها القديم بعد اجتياز صدمة موته ودفنه، ما حفظ فيه بعض أوراقه الحكومية وصورًا لأمها ومفتاحًا فضيًا قديمًا، وجدته، ذلك مفتاح شقة الجدة رمزية، استخدمه كاظم مروان مرة واحدة حينما عثر على البرديّة مخبأة في مكتب رمزية ولم يفصح عنها لعقدين من الزمان حتى قرر الإفصاح عنها في كتابه الجديد (التاريخ المحرّم) بعد سنوات من الصراع النفسي حول صحة تلك البرديّة من عدمها بالإضافة إلى سنوات من البحث التاريخي المفصل عن الحضارات القديمة، عندما كبرت شهرزاد أخبرها بحقها في شقة جدتها القديمة ورثًا من والدتها فقد كتبتها الجدة باسم شهرزاد يوم مولدها ولكن شهرزاد رفضت العودة إلى هناك حينئذ.

كل ما دار في بالها في هذه اللحظات، أن تقتحم عالم جدتها المظلم، ستبدأ من تلك البناية ذات الخمسة أدوار، كانت تقطن وعائلتها يومًا ما في شقة الدور الخامس، وقفت مترددة أمام تلك البناية الموصد بابها الحديدي الذي يأكله الصدأ، فتحت

الباب ليحدث صريرًا حادًا، بدا كل شيء كما كان في الماضي، شقق مهجورة لا يسكنها أحد، ظلام دامس ونوافذ مكسورة، سواد عظيم يغطى البناية من أتربة تراكمت عبر الزمن وكأنها احترقت لسنين ثم دُفنت في رمادها السرمديّ، قصص متواترة عن سكان تلك البناية قبل أن تنتقل عائلتها إلى هنا منذ ثلاثين عامًا، أغلبها يشوبه الأساطير بأنهم قتلوا بعضهم بعضًا حيث صحا الناس يومًا ما ليجدوهم جثثًا هامدة غارقة في دمائها في حديقة البناية الصغيرة مكومة فوق بعضها البعض، ما زالت ذاكرة شهرزاد تحمل كلمات والدها الحنون بأن تلك الحكايات خرافية لا صحة لها وأن عليها ألا تستمع إلى تخاريف الناس، الآن تدرك أنه ربما لم تكن تخاريف على الإطلاق، هناك سر ما داخل تلك البناية، سر له علاقة بأسطورة ست وجدتها رمزية وعليها معرفته.

الأمطار تتساقط بغزارة من دون توقف هذه الليلة، تخطو شهرزاد ناحية البناية في تحدٍّ وإصرار ضاربة كل تردد ممكن بعرض الحائط، شعرها الأسود الكثيف المبتل يراود تلك القلادة الذهبية على صدرها، قلادة حورس، ومعطفها الجلدي الكثيف لا يمنع القلادة من الحركة بحرية.

وقفت أسفل الدرجات وأزالت بيدها خيوط العنكبوت لتعبر نحو المجهول، أصوات مواء قطط تتردد، صوت الرياح يجتاح إلى ذلك السكون الليليّ المخيف، صعدت شهرزاد كاظم نحو شقة الجدة رمزية في الدور الخامس مرورًا بتلك الشقق المهجورة، مدت يدها وفتحت باب الشقة، اخترقت ظلامها الدامس، مدت يدها لتنير مفتاحًا كهربائيًا بجوار

الباب، لا يعمل، أخرجت هاتفها المحمول وأضاءت نوره الضئيل، بحثت عن عداد الشقة فوجدته منزوع الأكباس فوضعتهم في مكانهم فأضاء مصباح الصالة العلوي، مصباح عمره تخطى الخمسة وعشرين عامًا، أتلال من الغبار المتراكم في كل الأرجاء، امتلأت عيناها بالدموع وذكرياتها تتداعى على عقلها الواحدة تلو الأخرى داخل ذلك البيت الذي احتضن أسرتها الدافئة قبل أن يتحول الحلم إلى كابوس مؤلم، ترجلت ناحية صورة كبيرة يكسوها الغبار معلقة على حائط الصالة، صورة لها طفلة رضيعة مع جدتها رمزية وأمها ووالدها كاظم، الجدة جالسة على كرسي والأم تحملها في جوار والدها والسعادة الطاغية هي السمة الأساسية للصورة.

ابتسمت شهرزاد للحظات، استمعت إلى صوت ضحكات طفلة صغيرة، التفتت نحو ذلك الركن الجانبي الحاوي لكرسي هزاز وطاولة مستطيلة وأريكة بنية مجاورة ومرآة طويلة على الحائط، رأت نفسها طفلة بنت سبع سنوات ممسكة بعروستها الهدية الأخيرة من أمها تلاعبها وتضحك والأم جالسة على الكرسي الهزاز تتابع الطفلة مبتسمة، القلادة تتحرك على صدر الأم في بطء، كاظم مروان يقرأ جريدة ويشرب فنجانًا من القهوة بينما الجدة رمزية واقفة تنظر إلى نفسها في المرآة شاردة، تعلم شهرزاد أنهم مجرد سراب كاذب، عقلها فقط يصور لها رؤيتهم، ومع ذلك تمنت أن يكونوا حقيقة، مسحت دموعها واقتربت، همست:

- ماما.

تلاشوا بغتة كما ظهروا، ساد الصمت من جديد، صمت لا

يغتاله غير صوت تذاؤب الرياح المضطربة وزخات الأمطار المتلاحقة، تحركت شهرزاد ناحية غرفة جدتها، تغيرت ملامحها إلى التحدي، فتحت بابها، أضاءت مصباحها العلوي، جالت بنظرها في تلك الغرفة التي تكرهها بشدة، في هذه الغرفة ماتت أمها خنقًا بيد جدتها وفي نفس الغرفة سكن الشيطان على الحائط طوال هذه السنين، تحركت نحو الحائط الأيسر وتحسسته، آثار ذلك الشعار المرسوم بدماء جدتها ما زال ظاهرًا على الحائط، صولجان وأس.

غرفة صغيرة تحوى فراش صغير على اليمين ومكتب خشبي يتوسط الغرفة وخلفه رفوف مملوءة بالكتب التاريخية المتنوعة، لقد كانت جدتها عاشقة للتاريخ المصري القديم ولطالما قضت أوقات طويلة بين جدران هذه الغرفة تقرأ تلك الكتب بشغف كبير، مجموعة أوراق متناثرة في كل الغرفة، مدت يدها وأمسكت بعض الأوراق أسفل قدميها، أوراق متآكلة عليها فضلات صغيرة، شيء ما صغير فزعها ركضًا إلى الخارج، البيت يسكنه الجرذان، كان واضحًا منذ الوهلة الأولى لدخولها تلك الغرفة العطنة برائحة فضلاتهم، انتفضت شهرزاد إلى الخلف، وقعت عيناها على كتاب بلون الدم فوق المكتب مكتوب عليه باللغة المصرية القديمة بخط بارز ذهبي (الإله ست)

اقتربت شهرزاد ناحية الكتاب، مسحت التراب المتراكم فوقه، على الكتاب صورة لتمثال الإله ست ممسكًا بصولجانه، فتحت الكتاب وقرأت مقدمته:

(أنت ملك للشيطان فاسجد واقترب، سلم روحك للخلود

واغتنم، فرصة الراعي في الأفق البعيد، رب الشر من آمون ابن رع) إمضاء الإله ست، تصفحت محتواه في عجالة، كتاب مصور يحكي أسطورة ست وحورس المتعارف عليها، قتل ست أخيه أوزوريس ليستولي على الحكم في الفترة التي حكم فيها أبناء الآلهة أراضي مصر، شب حورس ابن أوزيريس وانتقم لوالده من ست بعد صراع دامي، في نهاية الكتاب صورة لحورس صاحب القناع الصقري يطعن ست صاحب القناع الأسطوري الذي عثرت عليه شهرزاد في المقبرة القديمة فوق رأس المومياء المُكتشفة.

ورقة صغيرة ملصقة في أخر صفحة، نزعتها شهرزاد، مكتوب فيها بخط اليد جملة أدركت شهرزاد أنها لجدتها رمزية، همست بها متعجبة:

– المجهول يطاردنا وما زلت أحاول الفرار.

***

في منطقة المقطم فوق الهضبة الوسطى في ساعة متأخرة من الليل وتحت أمطار غزيرة توقفت سيارة قائدها السيد فاروق مدير المتحف، أشعل سيجارة والتهم أنفاسها، نظر في ساعته متوترًا، اقترب الموعد المحدد، ظهرت سيارة أخرى واقتربت، هبط منها حرس خاص مفتولو العضلات مرتدين بدل سوداء، فتحوا الباب لرجل يجلس في الكنبة الخلفية، نزل الرجل ذو المعطف الرمادي والوجه الحاد ذي الملامح الجادة واقترب من السيد فاروق، لم ينطق بكلمة، تحرك فاروق ناحية الشنطة الخلفية لسيارته وفتحها، غطاء أسود أزاله بيده ليظهر تحته صندوقان من الخشب مملوئين

بتماثيل فرعونية ذهبية صغيرة، أمسك الرجل أحدهم وتفحصه ثم أشار لأحد رجاله فأحضر حقيبة كبيرة وفتحها لفاروق لتظهر داخلها أموال من فئة الدولارات الخضراء، حمل الرجال الصندوقين وتسلّم فاروق حقيبة النقود سعيدًا، وعاد الرجل أدراجه وانطلقت سيارته سريعًا.

همس فاروق حاضنًا حقيبته:

– مع السلامة يا باشا.

***

موسيقى صاخبة تصدر من داخل (قصر الأجدع) الواقع على بعد عشرين كيلومترًا داخل صحراء الفيوم، ذلك القصر الشبيه بقصر شهريار المرسوم في كتاب ألف ليلة وليلة، بل إن الحقيقة أن صاحبه رجل الأعمال منصور الأجدع قرر بناءه على نفس طراز قصر شهريار بمساعدة أمهر المهندسين المعماريين، سيارات فارهة تملأ ساحة القصر، أضواء تتلاعب مختلفة الألوان وأناس يتراقصون شبه عراة على مدى البصر طوال الطريق بين بوابة القصر الخارجية وبنايته الداخلية حيث تبعد ما يقرب من عشرة كيلومترات، ترجل(الرجل المجهول) ذو الطلاسم الشيطانية على جسده من سيارته مرتديًا قناعًا فضيًا به خطوط ذهبية عرضية يخفي وجهه، الجميع هنا يرتدي نفس القناع، حفل متكرر داخل جدران ذلك القصر لصفوة المجتمع ولكنهم حريصون ألا يراهم أحد حتى وإن كانوا بعضهم بعضًا، يأتون إلى هنا مرتدين تلك الأقنعة الفضية يشربون ويرقصون ويمارسون الرذيلة بشكل عشوائي همجي ثم يعودون أدراجهم مخمورين، حتى تلك

السيارات التي تقلهم إلى هنا كلها تابعة لصاحب ذلك القصر، الوحيد الذي يعرف شخصياتهم كل على حدة من دون أن يجهر بها لأحد، وثقوا فيه واعتنقوا شهواتهم تحت مظلته النجسة.

تحرك الرجل المجهول وسط السكارى مخترقًا زحامهم ورائحة عرقهم الممتزج من الرقص تارة ومن ممارسة الرذيلة تارة أخرى تملأ أنفه، ابتسم ورايات النجمة الخماسية الحمراء ترفرف فوق القصر والناس يصبون خمورهم فوق أجساد النساء في مجون وشبق لا يقارنان، توجه ناحية تلك الغرفة البعيدة في منتصف القاعة السفلية هابطًا درجات السلم الرخاميّة، وجد مغاوري بك في انتظاره كما تعود دائمًا، فتح له الباب وقاده نحو الرجل الكبير، رجل الأعمال المتواري عن الأنظار، منصور الأجدع، إبليسهم المحلي الغامض، العضو القيادي البارز في جماعة تمبل أوف ست، اتكأ على عصا ذهبية فلم يستطع حتى اللحظة التأقلم على ذلك الطرف الصناعي بعد أن قام الأطباء ببتر ساقه اليسرى بسبب مرض السكري، خلع الرجل المجهول قناعه وظل صامتًا في انتظار الأوامر الجديدة، أشار الأجدع بعينيه ناحية صورة ملقاة على المكتب الفخم بجواره، مد الرجل المجهول يده وأمسك الصورة، صورة شهرزاد كاظم، همس الأجدع بصوت أجش:

– شهرزاد كاظم مروان.

***

غفوت شهرزاد على الكرسي الهزاز في صالة بيت جدتها وسط سكونه المريب وفي جوارها ذلك الكتاب الحديث

المكتوب باللغة المصرية القديمة الذي قرأته عدة مرات باحثة عن أي بصيص أمل يسبر ظلام تلك الألغاز المتتابعة، بعد أن بحثت في كل مكان في الغرفة بين الكتب والمراجع التاريخية عن مبتغاها من دون فائدة، جلست تفكر في تلك الجملة المكتوبة بخط جدتها، المجهول يطاردنا وما زلت أحاول الفرار، من أي مجهول كانت تهرب رمزية؟ غلبها تعبها فنامت على ذلك الكرسي وألقت نفسها في ممرها الأسطواني المعتاد في غياهب جب ذاكرتها، تخطت حواجز الزمان والمكان والمنطق، ضباب كثيف داخل ممرها الأسطواني، على مقربة منها في صالة البيت وقفت الجدة رمزية تنظر لها وتبتسم، ما بين الوعي والهذيان في عالم موازي من خيال اندمج الماضي المستحيل والحاضر المؤلم، تحركت رمزية العجوز ناحية المرآة القريبة في صالة البيت ونظرت إلى وجهها وملامحها وتجاعيدها الغائرة ولكن صورتها في المرآة كانت مختلفة تمامًا فهي ترى نفسها بنت ثلاثين عامًا شابة ناضجة جميلة في فستان وردي قصير مكشوف الظهر وصدر مكتنز وجسد بض ممشوق تدندن أغنية لفيروز:

– طيري يا طيّارة طيري يا ورق وخيطان بذّي ارجع بنت صغيرة على سطح الجيران وينساني الزمان على سطح الجيران.

تختفي العجوز، رمزية الشابة تتراقص في بهجة في صالة البيت، يتطاير فستانها الوردي القصير فتظهر سيقانها اللامعة البيضاء، ما زالت شهرزاد نائمة في مكانها على الكرسي الهزاز، صورة معلقة للرئيس الراحل جمال عبد الناصر وكأن البيت

عاد بالزمن إلى أكثر من خمسين عامًا، يظهر زوج رمزية شابًا ويُراقصها في فرح وسعادة حتى تنفلت من يده وتمسك بطنها في دلال، يتبادلان نظرات ذات مغزى ثم يجري ناحيتها ويقبّلها، يلتهم شفتيها في رومانسية، فتحت شهرزاد عينيها فاختفى الزوجين، نهضت من مكانها متنهدة متخذة قرارًا بتنظيف البيت بعد أن سمعت صوت نميم جرذان يتكرر حولها، فتحت شهرزاد الستار وباب الشرفة لتستنشق الهواء البارد، خلفها وعلى بُعد خمسة وخمسين عامًا يأتي صوت لا تسمعه شهرزاد في حاضرها، صوت صراخ رمزية تلد أمها، هناك في غرفة جدتها، تقف الداية المشرفة على ولوج الأم إلى الحياة مصدرة صرخاتٍ أثلجت صدر الزوج المضطرب، امتزج الماضي والحاضر من دون أن يرى أحدهما الآخر في المكان نفسه وفي اللحظة نفسها، تحتضن رمزية ابنتها الرضيعة ويلتقط لهما الزوج صورة، تمد شهرزاد يدها وتُخرج تلك الصورة المتراكم عليها غبار السنين من أحد الأدراج، صورة الجدة والأم بين يديها رضيعة، ابتسمت شهرزاد وأزالت التراب بقماشة صغيرة وعلقت الصورة على الحائط.

في الزمن الماضي تُعلّق صورة الزوج على الحائط وفي أعلاها شريطة سوداء، لقد مات مبكرًا ليترك رمزية وابنتها بمفردهما في مهب رياح الزمن القاسية أيامه، شهرزاد تقف أمام الصورتين مبتسمة، رمزية تقف في جوارها يفصلهما خمسين عامًا من دون أن تتلاقى حياتهما، لم تلاحظا قط أن الجدة رمزية العجوز تقف خلفهما في عالم موازي داخل عقلها، لقاء عجيب، فتاة من الحاضر تشارك فتاة من الماضي البعيد في لحظة حزن وتشهد عليهما عجوز من الماضي

القريب، تتحرك العجوز رمزية وتبتعد ناحية غرفتها، تفتح الباب وتدخل لتختفي، شهرزاد تلتف لتبدأ عملية التنظيف وترش مياه على الأرض من جردل كبير ملأته بالمياه مع بعض المنظفات وتبدأ في مسح الأرض، في جوارها رمزية الشابة تحتضن طفلتها الرضيعة مرتدية السواد تبكي على زوجها الراحل، لقطات أشبه بالهذيان تهاجم شهرزاد ترى بعضها والبعض الآخر يتوارى عنها، تمسح شهرزاد زجاج المرآة جيدًا في منتصف الصالة، الجدة العجوز جالسة شاردة على كرسيها الهزاز، أم شهرزاد طفلة رضيعة وفي جوارها هي نفسها ابنة عشر سنوات ثم شابة مرتدية فستان الفرح، الأم في مراحلها العمرية المختلفة تقفن في جوار بعضهن بعضًا، يظهر كاظم مروان ويراقص الأم في بهجة، كل شيء يحدث على موسيقى دراماتيكية أوبرالية تدور في عقل شهرزاد، شهرزاد تزيل التراب من فوق صورة زفاف والدتها وتضعها على الحائط مبتسمة، الجدة العجوز ما زالت جالسة على كرسيها الهزاز شاردة، شهرزاد في شرفة البيت تنظر ناحية القمر المكتمل في السماء، الأمطار لا تتوقف، الصقيع يزداد، أم شهرزاد جالسة على الكرسي الهزاز بديلة للجدة شاردة مبرقة العينين، صوت بكاء طفلة رضيعة يتسلل إلى مسامع شهرزاد، امتزج الزمانين لأول مرة ليتسلل الصوت إلى أذني شهرزاد، التفتت إلى الوراء مرتبكة، الصوت يأتي من صالة البيت، تحركت ببطء متوجسة نحو الداخل، طفلة رضيعة فوق الأريكة تبكي، برقت عيناها، في الجانب الآخر أمام المرآة تجلس فتاة في السابعة من عمرها وخلفها سيدة تصفف لها شعرها، دققت في ملامحهما، لم تصدق ما تراه، إنها

أمها الراحلة وتلك الفتاة الصغيرة هي نفسها شهرزاد في سن الطفولة قبل رحيل أمها بأقل من عام، همست شهرزاد:

– ماما.

لم تلتفت لها وكأنها والعدم سواء، ترقرقت عيناها بالدموع، دندنت أمها بأغنية لم تفهمها في حينها، أغنية بكلمات مصرية قديمة بلغة لا يعرفها غير المتخصصين، تساءلت: كيف لأمها أن تعرف تلك اللغة وهي لم تقرأ في حياتها كتابًا واحدًا؟ تدندن معها شهرزاد بكلمات مترجمة لما تقوله فيندمج صوتان أحدهما يفسر الآخر:

– كالنجمة المتألقة ليلة عيد، تشرق في رأس السنة كأنها ليلة عيد، عيناها جميلتان شفتاها ياقوت أحمر، شعرها كالجواهر السوداء أحبك.. أحبك.. أحبك.

الكرسي الهزاز تجلس عليه سيدة عجوز، إنها جدتها، ترتعد شهرزاد لرؤيتها، في لحظة واحدة أصيبت أمها بتشنجات عصبية ووقعت على الأرض مرتعشة، الطفلة الرضيعة تبكي، شهرزاد ذات السبع سنوات تبكي، ضباب كثيف ينتشر في كل الصالة، شهرزاد لا ترى أي شيء أمامها، تسعل كثيرًا، وسط الضباب ترى عينين حادتين، عينا جدتها رمزية، تتلاقى أعينهم، تبتسم رمزية وتتحرك ناحية غرفتها، اختفت الأم، تبعتها شهرزاد مذهولة.

تمد شهرزاد يدها لتضيء مصباح الغرفة العلوي وتقف على بابها مبهوتة، أمها كالمسحورة ترسم على الحائط شعار صولجان واس بقلم من طلاء الشفاه الأحمر، الجدة رمزية تراها والدموع في عينيها، تهمس الجدة في حزن:

– كنتُ مخطئة، لا يمكن المقاومة، لا يمكن المقاومة أبدًا.

تمتمت الأم بعدها بكلمات غير مفهومة كمن مسها جان، تشنجت وانقلبت عيناها في رعب شديد وصرخت بتلك الكلمات الشيطانية التي بالكاد ميزت شهرزاد بعضها:

– رع تحوت ست آمون أتوم.

جلست الجدة تحت الشعار تبكي منهارة والأم تصرخ كالشيطان الغاضب ومصباح الغرفة يحترق والضباب يزداد، تتكسر الحوائط وتهتز الأرض من تحت قدميها، تجد نفسها داخل ممرها الأسطواني، صوت دقات طبول بإيقاع رتيب مهيب، ضوء يظهر في نهاية الممر، تتحرك شهرزاد مشدوهة ناحيته، تصل شهرزاد على مشارف مقبرة كبيرة، إنها تعرفها جيدًا، تلك المقبرة هي ما اكتشفوا تابوت الشر داخلها، مصابيح صغيرة مضيئة منتشرة على كل الجدران وعمال بزي فرعوني يشرفون على إنهاء المنحوتات والرسومات على الجدران، في المنتصف التابوت وفي جواره كرسي من الذهب يجلس عليه رجل على رأسه قناع على شكل رأس صقر، لفتت نظرها تلك القلادة على صدره، إنها نفس قلادة والدتها الذهبية، تشبهها تمامًا، قلادة عين حورس، نظر ناحيتها مجموعة من الرجال ضُلع الرؤوس يقفون على صفين متوازيين في نهايته التابوت وكرسي الرجل، اقترب أحدهم منها وأمسك كتفيها بقوة ناظرًا في عينيها ومن دون أن ينطق جرجرها ناحية التابوت، سُلبت شهرزاد كل مقاومة تُذكر، صوت دقات الطبول يعلو، أشار الرجل الجالس على كرسيه بيده ناحيتهم، حملوها ووضعوها داخل التابوت، كان

فارغًا في انتظارها، حاولت الصراخ من دون جدوى، فقد شُلت حركتها تمامًا كمن يهاجمه الجاثوم في أثناء كابوس مرعب، أخرج الرجال أنصالًا حادة وفي لحظة واحدة قاموا بقطع شراييهم لتسقط دمائهم الحارة فوق ملابس شهرزاد وتُغرق وجهها، كبيرهم يقترب ليضع قناع ست الأسطوري فوق رأس شهرزاد، يسود الظلام ثم يُغلق التابوت فوقها، تحاول شهرزاد الصراخ، يختفي حولها الصوت تمامًا، تصرخ شهرزاد، تنهض مفزوعة في مكانها على الكرسي الهزاز في صالة البيت وفي جوارها كتاب جدتها وورقتها المكتوب فيها: المجهول يطاردنا وما زلت أحاول الفرار، كابوس مرعب، التقطت شهرزاد أنفاسها اللاهثة، لم تصدق ما لاحظته للتو، ذلك القناع الأسطوري الخاص بالإله ست موجود في جوارها، اقتربت منه، لامسته، تأكدت منه، برقت عيناها حينما التفتت إلى نفسها في مرآة الصالة، لقد لُطخت ملابسها ووجهها بالدماء.

- 13 -

اليوم السادس والثلاثون

صباح ملبد بالغيوم وشمس متوارية خلف سحب محتقنة، دقات ناقوس الخطر تتردد في كون فسيح لا يسمعها أحد، صُمّت آذان البشر وعُميت أبصارهم فصاروا كثيران عميان في أرض مهددة بشر لا يُضاهى، أُعلن موكب الشيطان وأتباعه وسجد له الأغلبية من دون أن يدركوا أنها نهايتهم، غرتهم الملذات والشهوات فسقطوا في بئر سحيق لا قرار له إلا في جهنم تشتعل فيها أرواحهم وهم على قيد الحياة وبعدها أضعافًا مضاعفة من دون مفر.

وقفت شهرزاد كاظم مروان في غرفة المراقبة داخل متحف الحضارة الجديد، شاشة عملاقة تضم كل ما تنقله الكاميرات وتسجل أغلب الأرجاء لحظة بلحظة داخل وخارج المتحف.

برقت عينا شهرزاد وهي تتابع ذلك التسجيل الليلي لبهو فحص المومياوات وتلك الفتاة الصغيرة المبللة الشعر السارقة لقناع المومياء الأسطوري، أسئلة متصارعة تتداعى على عقلها في هذه اللحظة، من تلك الفتاة؟ كيف دخلت إلى المتحف بهذا اليسر من دون أن يراها أحد؟ لماذا لم يشعر بها زميلها أنور علّام ولم يرها على الإطلاق؟ كيف سرقت القناع وخرجت به من دون أن تُلتقط بأي من الكاميرات الأخرى؟ بل كيف لم تلتقطها أية كاميرا أخرى دخولًا إلى المتحف؟

وأخيرًا، كيف وصل ذلك القناع إليها في بيت الجدة؟ أعادت اللقطة مرات ومرات، شيء ما يثير الشك داخلها، صاحت

لزميلها أنور الواقف في جوارها يتابعها وخلفهما رجل الأمن (سيد عبد الصمد) صامتًا:

– أوقف هذه اللقطة.

أُوقف التسجيل على لقطة تُظهر عين الفتاة اليسرى من بين شعرها الكثيف المغطي لوجهها.

– قرب صورة الفتاة.

قُرب اللقطة حتى صار وجه الفتاة ملء الشاشة، لوهلة شعرت شهرزاد أنها تنظر إلى نفسها طفلة بنت ثماني سنوات، نفس العين والشعر والهيئة، تاهت شهرزاد في دوامات من الألغاز المتشابكة، همس لها أنور:

– هل تعرفين تلك الفتاة الصغيرة؟

– أنا! لا، لماذا تسأل؟

– تغيرت ملامح وجهك عندما رأيتِها عن قرب.

– لا، لا أعرفها.

ترجلا خارج غرفة المراقبة نحو البهو العلوي، ركبا المصعد معًا يتحدثان:

– أريد منك شيئًا هامًا يا أنور.

– أي شيء؟

فتحت حقيبتها وناولته كيسًا بلاستيكيًا في داخله قميصها الملطخ بالدماء.

– قم بتحليل تلك الدماء الملطخة لذلك القميص سريعًا وأطلعني على النتائج.

– حسنًا، للحق، اختفاء القناع أنساني أن أخبرك أن عمر تلك المومياء المُكتشفة تعدى الست وعشرين ألف عام.

– كم!

– 26 ألف عام.

– يبدو أننا على مشارف اكتشافات قد تُغير من خريطة التاريخ المعتاد والمُسجل.

– بالطبع، كيف لأناس عاشوا منذ هذه المدة السحيقة أن يتقنوا التحنيط بهذه البراعة وكل معلوماتنا عنهم أنهم عاشوا في الكهوف مختبئين من شر الطبيعة؟

وصل الاثنان إلى بهو فحص المومياوات، وقف السيد فاروق في انتظارهما مع مجموعة من الباحثين، مد يده ليصافحها في حزن واضح بينما تركهما أنور واختفى في جانب من البهو:

– البقاء لله يا شهرزاد، أنا في منتهى الحزن لما أصاب والدك، لقد كان عالمًا فذًا ولم يأخذ حقه من التكريم للآسف.

– أشكرك دكتور فاروق، لنتابع عملنا إذن.

التف فاروق بفخر وهو يستكمل حديثه مع الباحثين، أنصتت له شهرزاد محاولة الخروج من شرودها الجبري:

– سأعيد كلامي باختصار، هذه المومياء خاصة برجل يُدعى(ست) عاش قبل 26 ألف عام، في داخل المومياء في تجويف الصدر تحديدًا عثرنا على بردية تحكي القصة بأكملها، اغتصب ذلك الرجل عرش البلاد من أخيه المدعو أوزيريس عنوة بخيانة كبرى، انتشر الشر والقهر والطغيان في أيامه

حتى جاء حورس ابن الملك المغدور به أوزيريس وقاد بنفسه ثورة شعبية ضد ست واستولى على الحكم منه وقتله بطعنة نافذة في القلب، هنا كما تروا أثرها.

قاطعه أحد الباحثين بشغف:

– هذا يعني أن أسطورة إيزيس وأوزيريس وست وحورس حقيقية وحدثت بالفعل كما نُقلت إلينا.

– من الواضح أنهم كانوا بشرًا حقيقيين عاشوا وماتوا على هذه الأرض ولكن ربما من تناقلوا قصتهم أضافوا إليها كثيرًا من الأساطير عبر الأزمان كأقاويل كثيرة منها أن أوزيريس هو إله العالم السفلي وأنه يستقبل الموتى في العالم الآخر وغيرها من الحكايات المُلفقة التي لا يصدقها عاقل، لكن المثير في ذلك الاكتشاف أننا ولأول مرة نعثر على دليل واضح لوجود حضارة قبل عصر الأسرات بآلاف السنين، تحنيط مومياء كهذه ببراعة دليلًا قويًا على تقدّم حضارة المُحنطين..

يبدو أن والدك الراحل كاظم مروان كان على حق يا شهرزاد، شهرزاد! هل تسمعينني؟

جذبها فاروق من شرودها وقلقها الظاهر خلف ابتسامة فاترة.

– نعم دكتور، أشكرك.

اقترب زميلها أنور علّام في جوارها وهمس لها:

– تلك الدماء المُلطخة لذلك القميص هي نفس الدماء التي عثرنا عليها على التابوت.

– ماذا؟

برقت عيناها من هول الصدمة، ما معنى ذلك؟ لا تفسير منطقي لما يحدث لها، انسحبت شهرزاد فجأة من بهو فحص المومياوات وسط تعجب فاروق وفريق البحث بأكمله ولكنهم التمسوا لها العذر فقد دُفن والدها الليلة الماضية وصارت شهرزاد وحيدة تعاني فقدانه مدى الحياة.

***

انطلقت شهرزاد بسيارتها نحو مستشفى العباسية للطب النفسي، كل ما دار في رأسها أن مفتاح حل تلك الألغاز العديدة هو جدتها رمزية، لا بد أن تعثر على شيء ما يفسر كل ذلك، هذه العجوز لها علاقة مباشرة مع صاحب المومياء ست، يكاد رأسها ينفجر من التفكير كغارقة في بحر من الأحاجي القاتلة تبحث عن أي طوق للنجاة، ربما يحوي ملفها بالمستشفى أية معلومة، ربما يعرف طبيبها أي تفسير.

جلست شهرزاد كاظم على الكرسي المواجه لمكتب الطبيب يوسف بهلول وقصت له باختصار بعض ما حدث بعد قليل من المراوغة والتكتم ولكنها لم تحتمل، حكت له بعض ما عايشته الليلة الماضية، اعتدل يوسف في كرسيه متنهدًا ثم نهض وجلس في الكرسي المواجه لها وسألها في اهتمام:

– دكتورة شهرزاد! هل تعتقدين أن هناك أحدًا يستطيع رؤية ماضي غيره؟

– وتلك الدماء الملطخة لملابسي من أين جاءت يا دكتور؟

ابتسم لها مفسرًا بهدوء:

– ربما أخذتي جزءًا من عينة الدماء المعثور عليها في المقبرة فوق التابوت ونسيتِها في جيب قميصك.

– هكذا، من دون أن أشعر أو أتذكر.

– أحيانًا يحدث ذلك نتيجة الضغط العصبي وأنتِ تعانين من صدمة كبيرة بسبب فقدان والدك البشع كما قصصتِ لي.

– والقناع؟

– أي قناع؟

تذكرت شهرزاد أنها لم تقص له كل شيء، لا تدرك لماذا تُخفي بعض المعلومات عليه؟ ربما لأنها جاءت إلى هنا لتعرف ما ينقصها من أجوبة لأسئلتها وليس العكس، تداركت الأمر:

– لا، لا شيء.

لاحظ يوسف ارتباكها، نظر في عينيها محاولًا إخفاء إعجابه بجمالها الأخاذ، سألها:

– مدام شهرزاد..

قاطعته:

– آنسة.

ابتسم بدهاء واستكمل حديثه مطمئنًا:

– آنسة شهرزاد، منذ متى وتلك الكوابيس تهاجمك؟

نهضت شهرزاد متنهدة واتجهت ناحية نافذة الغرفة، استنشقت الهواء البارد وأجابته:

– منذ موت أمي مباشرة، كوابيس بشعة أحيانًا أراها وأنا يقظة ومدركة لكل شيء حولي.

– أمر طبيعي، موت والدتك في هذه السن الصغيرة صدمة كبرى لها توابع نفسية متعددة منها ما عانيتي منه.

– لكنها لم تستمر طويلًا بالأخص بعد اختفاء جدتي تمامًا من حياتي، لا أنكر أنني قضيت أعوامًا غارقة في حزن لا يُقارن ولكن حنان والدي عوضني الكثير والكثير.

– ثم؟

– بعد انتحار جدتي عادت تلك الكوابيس من جديد، بالأخص عندما عدتُ إلى بيتها بعد قتل أبي بهذه الطريقة الشنيعة.

– أغمضي عينيكِ، أغمضي لا تخافي.

كان يوسف واقفًا في جوارها أمام النافذة، رائحة الهواء البارد الحاملة لرائحة بعض الأشجار الواقعة أوراقها في حديقة المستشفى تتسرب إلى انفهما، أغمضت عينيها تلبية لطلبه، سألها بصوت هادئ:

– ماذا ترين؟

لحظات من الصمت غرقت فيها شهرزاد في بحر من اللون الأحمر، ركزت واستجمعت شتات نفسها وأجابته:

– خيوط حمراء متشابكة بغزارة.

– هل بها عُقد كثيرة؟

– أكثر مما تتصور.

– هل يمكنك أن تستجمعي كل تركيزك في إحدى تلك العُقد وتحاولي فكها؟

– لا، لا أستطيع.

– حاولي.

تتابعت أنفاس شهرزاد وكأنها تلهث، ركزت تفكيرها في عقدة منهم، مدت يدها داخل ممرها الأسطواني الخيالي وحاولت فكها، تشابكت الخيوط حولها كأفعى واعتصرتها، قليل من الصمت تبعه صيحة مرعوبة فتحت معها شهرزاد عينيها:

– لا أستطيع أبدًا.

***

في أحد أروقة البناية الخلفية لمستشفى العباسية وقف أحمد عثمان مدير الأمن متعجبًا من تلك الفتاة الصغيرة التي رآها صدفة تتحرك ناحية تلك البناية الخاضعة لبعض أعمال التطوير والتجديد بعد نقل نزلائها إلى مبنى آخر، توقف العمل فيها منذ أيام بسبب سوء الأحوال الجوية ولذلك تعجب من رؤية هذه الفتاة التي لا يتعدى عمرها الثمان سنوات، تبعها إلى الداخل، بحث عنها في الأرجاء، شاهدها تقف في نهاية رواق طويل تتلاعب أضواءه العلوية عند مدخل غرفة لها باب خشبي ونافذة علوية من الزجاج، الأمطار تزداد غزارتها في الخارج، الفتاة هي شهرزاد في صغرها وقد اخترقت كل قواعد المنطق، نظرت إليه بعينين حادتين نظرة ثاقبة مبللة الشعر، قطرات من الدماء تتساقط من خصلات شعرها على الأرض الرملية تحتها، مد أحمد عثمان يده وجس طبنجته المرخصة واقترب متوجسًا، دخلت شهرزاد الغرفة وأغلقت الباب، صوت ضحكات متلاحقة ممتزجة مع صرخة طفلة،

اقترب أحمد أكثر، فتح الباب ودخل لموعده الفجائي، ما لم يتوقعه يومًا، موعد مع الشيطان.

***

تنهد يوسف بهلول وقد وصل إلى تحليل أولي لما تعانيه شهرزاد مريضته الجديدة الساحرة الجمال.. ابتسم:

– صورة جدتك وهي تقتل أمك أمام عينيك كانت سببًا واضحًا لكل ما عانيت منه في الماضي، اختفائها الجزئي من حياتك لم يمح قط تلك الصورة من ذاكرتك، ربما فقط خففت المعاناة التي ظهرت على السطح بقوة من جديد بمجرد ظهور سيرة جدتك وإن كانت منتحرة بالإضافة طبعًا إلى عودتك إلى بيتها القديم، مسرح الأحداث الرئيسي لتلك الصورة.

حاول يوسف أن يغير مجرى الحديث ليُخرج شهرزاد من حالتها المضطربة، سألها:

– هل لي بسؤال؟

– تفضل.

– ذلك الاكتشاف الأثري المُعلن عنه مؤخرًا هل له علاقة بأسطورة الإله ست ؟

اضطربت شهرزاد وحاولت إخفاء ذلك:

– عادة لا نصرح بشخصية صاحب المقبرة إلا عندما..

قاطعها يوسف:

– لست إعلاميًا أو صحافيًا يا دكتورة.

تنهدت شهرزاد:

– حسنًا، الأبحاث الأولية تشير أن صاحب المقبرة هو ست فعلًا ولكن هذا لا يعني أبدًا صحة الأسطورة.

– بمعنى؟

– طبيعة المصريين القدماء كانت تأليه الحُكام ولذلك ربما أوزيريس وحورس وست كانوا أناسًا حقيقيين عاشوا على أراضي مصر في الماضي السحيق والناس حولوهم إلى آلهة، بل الحكام أيضًا كانوا يقدمون أنفسهم للناس بأنهم أبناء الآلهة على الأرض وأولى بعبادتهم.

– أتفق معك جدًا، العلم لا يمكن له أبدًا أن يتفق مع الأساطير.

ارتشفت شهرزاد من فنجان قهوتها وشردت قليلًا قبل أن تنظر إلى يوسف:

– أشعر بأن رمزية تريد أن تخبرني بشيء لا تقوى على النطق به، هكذا أرى في عينيها في كل مرة تظهر لي منذ أن كنت طفلة، كلمات موءودة، لكنني ألوم نفسي كثيرًا على التفكير بهذه الطريقة.

– ألم تحاولي كسر وحدتك تلك قط؟

– أنا فقط أعاني من رحيل والدي.

– لا، أنت تعانين من الوحدة منذ رحيل والدتك، حتى في وجود السيد كاظم مروان لم تحاولي ولو مرة واحدة في تخطي وحدتك تلك.

نظرت له متعجبة، اقترب منها مبتسمًا ومد يده وربت على يدها في حنان استثنائي وفي لحظة واحدة امتلأت عينيه

بإعجاب قفز إلى مدينتها المُحصنة، تلك اليدين الناعمتين والعينين الخضراوين بلون البحر وأمواجه الثائرة سلبت كل اهتمامه، ألقى يوسف نفسه فيهما من دون تفكير، شعرت هي بذلك بغتة، همس لها:

– سأحاول أخذ أول خطوة لكسر تلك الوحدة.

***

كهرة ضالة في ليل شديد البرودة جلست شهرزاد مع صاحب أول يد مُدّت إليها بالدفء المحتمل..

عشاء على ضوء الشموع في مطعم أنيق وعازف بيانو يعزف مقطوعة ضوء القمر لبيتهوفن، هُدّمت كل حصون مدينتها الليلة وباتت أبوابها مفتوحة على مصراعيها ليوسف ذلك الوسيم الرقيق الذي بدوره شعر بأنه وجد ضالته بعد طول عذاب وشك ببقائه في وحدة لا تنتهي متحسرًا على ذكريات قديمة، عجيب ذلك الحب، يظهر بغتة من دون سابق إنذار ويقذف بسهميه قلبين يحتضنان بعضهما البعض في غفلة من الزمان مهما كانت الاختلافات بينهما، كان يوسف وشهرزاد كائنين تلاقيا في ساحة حرب على أرض محايدة، كل وحربه في حياة جدباء فازدهرت بالورود فجأة واختفت الحروب إلى غير رجعة، كأن يوسف كان بمثابة طوق نجاتها المباغت من طوفان مميت.

تحدثت كثيرًا هذه الليلة عن أشياء لم تكن تتصور أن تقصها لشخص ما، لم تتوقف عن الحديث عن ماضيها وأحلامها وكأن يوسف بات صديقها الوحيد، لم تشعر شهرزاد بهذه المشاعر من قبل، حتى إنها لا وجود لصديقات في حياتها،

طوال عمرها وحيدة كشجرة واحدة بقيت في مكانها بعد عاصفة اقتلعت غابة بأكملها من حولها.

جلست شهرزاد في جواره في سيارته ليقلها إلى بيتها بعدما تركت سيارتها في المصحة بعد إلحاح من يوسف بعدم القيادة في ليلة ممطرة كهذه على وعد أن يُعيدها إليها في الصباح، وجدت نفسها تطيعه وتنفذ طلبه من دون مقاومة، أخبرته أن يترك لها السيارة في الجراج الخاص بالمتحف في الصباح، أدار أغنية تحبها كثيرًا، أغنية لفيروز (سألتك حبيبي)، غابت في سكرة سعادة وقتية وسط عاصفة من الأحزان:

– سألتك حبيبي لوين رايحين؟

خلينا خلينا وتسبقنا سنين

سألتك حبيبي لوين رايحين؟

خلينا خلينا وتسبقنا سنين

إذا كنا ع طول، التقينا ع طول

ليش ما نتلفت خايفين

؟

سألته بسعادة:

– كيف عرفت أنني أحب هذه الأغنية؟

– يبدو أننا متشابهين في الكثير من الاهتمامات، فيروز مطربتي المفضلة.

دقائق عامرة بسكون ما قبل العاصفة، سكون تتسلل سعادة

في غير موضعها لتجتاحه، والد مذبوح وجدة منتحرة وأم مقتولة وألغاز لا حصر لها تحاوطها كشباك قاسية ومع ذلك شعر قلبها بفرح بعيد تمنت لو اختفى العالم كله في هذه اللحظات وبقي يوسف، همس عقلها وهي تنظر ليوسف بإعجاب:

– توقفي يا شهرزاد، أجننت؟

توقف يوسف بسيارته أمام بيت رمزية مبتسمًا لها:

– وصلنا.

– شكرًا يا دكتور..

قاطعها:

– دكتورا

– شكرًا يا يوسف.

– ستنامين؟

– أعتقد ذلك.

– أمتأكدة أنك لا تريدين العودة إلى بيتك في البساتين؟

– لا، سأبقى هنا حتى أدرك حقيقة ما يحدث.

– في كل الأحوال أنا معك، لا تنسي، منذ الليلة عندك صديق وفي.

– أشكرك أيها الصديق الوفي.

تبادلا الابتسامات والنظرات المتعلقة ببعضها البعض، فتحت الباب ونزلت:

– تصبح على خير.

– وأنتِ من أهل الخير.

ابتعدت، وقفت عند مدخل الحديقة والتفتت إلى الوراء وأشارت له بابتسامة ملء وجهها فأشار إليها، دخلت البيت وصعدت إلى الأعلى، فتحت الباب ودخلت، أضاءت النور وأغلقت الباب، استندت عليه وتنهدت، شعرت بلهيب يُشعل قلبها لأول مرة في حياتها، لحظات واستمعت إلى دقات رقيقة على باب الشقة، حبست أنفاسها وهي تدرك من بالخارج، فتحت الباب، يوسف، الحبيب المباغت، لم ينبس ببنت شفة، نظر إليها بحب ولم يمنع نفسه من الهجوم على حصن شفتيها الورديتين، التهمهما بشوق جارف، اعتصر رحيقها واسكره، غابا في نشوة عارمة، أغمضت شهرزاد عينيها وغرقت في بحور اللذة، هنا في بيت اللعنات يولد حبهما من دون ميعاد، ككرتين ثلج اشتعل لهما كل الكون ليدفئ قلبيهما رغم الصقيع والألم.

أسندت شهرزاد رأسها على فخذه فوق أريكة في وسط الصالة يربت على رأسها ويمسح شعرها بحنان مُفرط بعد مقتطع من الزمان لا يعرفان مدته، فقط نهلا من جنة لم تطأها غير أرواحهما الليلة، في دفئه همست شهرزاد بارتياح شديد:

– كثيرًا ما أغمض عينيّ لأراني على شاطئ بحر وسط أناس فرحين بأعداد كبيرة، قبل أن يقذفني أحدهم في ممر أسطواني ضيق بمفردي أعاني فيه الخوف والحرمان..

هل رأيت من قبل بحر يضحك؟ أنا رأيت، حينما ذهبت إلى هناك على شاطئ بحر الإسكندرية متشابكة يدي الصغيرة مع يد أمي، رأيت البحر يضحك، كان له ضحكة جميلة رقص

لها قلبي الصغير آنذاك، بعدها غابت ضحكته في دوامات من الحزن العميق، أتعرف يا يوسف؟

أريد الذهاب إلى هناك معك، أعتقد أنه يضحك الآن.

قبّلها يوسف هامسًا:

– أحبُّكِ يا شهرزاد.

ذابت شهرزاد في أحضانه حتى غفوت وغرقت في سبات عميق، لم يقلقها غير صوت أغنية فيروز(سألتك حبيبي) على مذياع كبير في يمين الصالة:

– سألتك حبيبي لوين رايحين؟ خلينا خلينا وتسبقنا سنين.

فتحت عينيها، نظرت حولها، لا وجود ليوسف، بحثت عن هاتفها المحمول حولها ولم تعثر عليه، ناديت:

– يوسف، يوسف!

لفت انتباهها آثار دماء على الأرض، دققت النظر، علامات لقدمين ملطخين بالدماء تتجه نحو غرفة الجدة، كتمت أنفاسها، تمنت أن يكون ذلك كابوسًا جديدًا، نهضت، ناديت بخوف شديد:

– يوسف، يوسف!

تتغير الموسيقى إلى موسيقى السيرك الشهيرة، ينفتح باب غرفة الجدة وتخرج منها رمزية العجوز ووجهها مطليًا بالدماء كأنها بهلوان شره للدم، تنظر لها مرعوبة، تشير رمزية إلى الداخل وكأنها تُقدم عرضها الشيق، ترددت شهرزاد في الاقتراب ولكن حبها ليوسف دفعها إلى سبر أغوار الخطر، اقتربت، مرت بجوار رمزية، تطلعت إلى الغرفة، رأت يوسف

واقفًا فوق كرسي صغير ورقبته معلقة في مشنقة، بهتت شهرزاد، المشنقة ليست من الحبال، بل ثعبان ضخم معلق في منتصف الغرفة ويلتف حول رقبة يوسف المبرق العينين، صرخت شهرزاد:

- يوسف!

تعالت ضحكات رمزية، انقضت عليها شهرزاد وأخذت تضربها بكل قوتها صارخة:

- ماذا تريدين مني؟

دفعتها رمزية فوقعت شهرزاد أرضًا، أخرجت رمزية سيفًا كبيرًا من ورائها وأشهرته في وجه شهرزاد، تراجعت شهرزاد إلى الوراء، تقدمت ناحية الغرفة، نظرت إلى شهرزاد، دفعت الكرسي بقدميها فتعلقت رقبة يوسف بالثعبان واعتصره بقوة، لفظ يوسف أنفاسه وشهرزاد تصرخ بكل ما لديها من أحزان تلتهم حياتها، رفعت رمزية سيفها وقطعت رأس يوسف فسقط جسده أرضًا يندفع منه الدماء الحارة بقوة، ترك الثعبان الرأس فتدحرج على الأرض تحت قدمي رمزية، أمسكتها، تحركت ناحية شهرزاد، ألقتها في جوارها، صرخت شهرزاد بكل صوت ممكن وأظلمت الدنيا من حولها:

- يوسف!

- 14 -

اليوم السادس والثلاثين

فتحت شهرزاد كاظم عينيها في فزع شديد، صوت تذاؤب الرياح العاصفة يتردد خارج ذلك السكون المرعب داخل بيت جدتها المنتحرة، ضوء القمر يتسلل عبر نافذتها المفتوحة مع موجة من الصقيع الشديد هاجمتها، ارتعشت شهرزاد، نظرت حولها، كل شيء ساكن، على طاولة قريبة وُضع قناع ست الأسطوري، أحد ألغازها اللعينة، قناع سرقته فتاة تشبهها في طفولتها ليخترق كابوسها الليلة الماضية فتصحو لتجده في حوزتها، أي هراء هذا! باتت شهرزاد تشك في قواها العقلية، برق يضيء السماء، ورعد تهتز له البنايات، شعرت بإنهاك شديد، جاهدت نفسها لتتحرك نحو النافذة وتغلقها، تزداد رعشاتها، برقت عيناها عندما لاحظت للتو أنها عارية، لا ترتدي سوى تلك القلادة على رقبتها متدلية على صدرها العاري، وليس هذا فقط بل هناك نقط من الدماء متجلطة عند فخذيها، مدت يدها وتحسست تلك النقط، قفز إلى ذهنها شيء واحد، يوسف، اتصلت به في هذه الساعة المتأخرة من الليل وجاء صوته هادئًا منخفضًا كأنه استيقظ لتوه من النوم، سألته عن ليلتهما الماضية فأخبرها أنه ودعها عند بيت جدتها وانصرف، تلعثمت شهرزاد من دون أن تُصرح له بشيء، زادت من قلقه عليها، طمأنته كاذبة، أغلقت الاتصال وترجلت ناحية المرآة، نظرت إلى جسدها، تأكدت من غياب أية جروح ظاهرة، لم يبق غير احتمال واحد لا تصدقه شهرزاد ولكنها تشعر بصحته لا محالة، لقد فقدت عذريتها، يد تمتد إلى

جسدها، ترتعد شهرزاد وتلتف إلى الوراء، لا أحد، يد خفية تتحسسها وتمتد إلى ما بين فخذيها، تصرخ شهرزاد، ولكن صرختها ثُكتم بتلك اليد الخفية، جسد خفي لا تراه شهرزاد يطبق صاحبه على شفتيها، تكاد تختنق، تنفتح النافذة بقوة من هول قوة الرياح بالخارج وتقع شهرزاد أرضًا، سكون مخيف، ركضت شهرزاد ناحية الغرفة الداخلية وأغلقت الباب، انهارت في بكاء هيستيري، صوت حاد ليد خفية تحفر شيئًا ما على الحائط المواجه لها، صولجان وأس يُنحت على الحائط، خرجت شهرزاد من الغرفة راكضة نحو باب الشقة، حاولت فتحه، الباب لا يُفتح، صاحب اليد الخفية يجذبها من جديد ناحيته، تتلاعب الإضاءة العلوية، يتعالى عزيف الرياح وكأنه صرخات متصارعة، برق يتردد، رعد متوالي، تصرخ شهرزاد:

– من أنت أيها اللعين؟

يوقعها الكيان الخفي أرضًا ويجثو فوقها كأنه يضاجعها، تصرخ شهرزاد أكثر وأكثر من دون أية فرصة للفرار، صفعة قوية على وجهها أفقدتها الوعي، سقطت في بحر من الظلام اللعين.

صوت دقات الساعة التي هي بحجم الكون مستمر.

***

في الصباح أخذ يوسف سيارته في سعادة متجهًا ناحية المستشفى، ومن هناك يقود سيارة شهرزاد ليوصلها إلى متحف الحضارة، توقفت الأمطار منذ شروق الشمس وساد الضباب الكثيف وارتفعت درجات الحرارة بشكل ملحوظ من

دون سابق إنذار وكأنهم في أشد أيام فصل الصيف حرارة، يوسف يستمع إلى أغنيته المفضلة:

– سألتك حبيبي لوين رايحين؟

خلينا خلينا وتسبقنا سنين.

فجأة يرتطم شيء صلب بزجاج السيارة الأمامي، يتوقف على جانب الطريق ويهبط منها ويعود إلى الوراء ليبحث عما ارتطم به، شيء عجيب، غراب أسود يحتضر والدماء تنساب من منقاره الصغير، صوت ضخم يقترب من يوسف، نظر إلى أعلى، مئات من الغربان الميتة تسقط فوقه، ليغرق يوسف تحت جيف الغربان المحتضرة.

خبر واحد تتناقله كل القنوات الإعلامية محليًا وعالميًا:

– نفوق جماعي للغربان في ظاهرة هي الأولى من نوعها من دون سبب واضح.

***

في مكتب مدير متحف الحضارة وقف السيد فاروق مذهولًا وهو يرى شعار صولجان واس منحوتًا على حائط مكتبه، مد يده ليتحسسه، صوت مذيع إحدى القنوات الإعلامية يتحدث عبر تلفاز كبير في مكتب السيد فاروق:

– علامة عجيبة تنتشر بشكل كبير على كل البنايات ليس في مصر فقط بل في العالم كله.

لقطات متفرقة في التقرير التلفزيوني لشعار صولجان واس وقد نُحت في آلاف الأماكن عبر العالم، على البنايّات وسط ذهول من الناس وتعجب مثير للرهبة.

– الشعار المنحوت معروف بصولجان واس وهو شعار للإله ست رب الصحراء والشر والخراب عند قدماء المصريين.

كاد فاروق أن يُجن، لقد أصدر أوامره بعدم الإفصاح مطلقًا عن شخصية المومياء المُكتشفة حتى تنتهي كل الأبحاث والدراسات عنه، همس فاروق ناظرًا إلى صولجان واس:

– الإله ست!

***

في غرفة بعيدة في البناية الخلفية الخاضعة للتجديد في مستشفى العباسية للطب النفسي عُثر على جثة مدير أمن المصحة السيد أحمد عثمان مصابًا بطلق ناري في الرأس وعاريًا تمامًا ومحفور على صدره شعار صولجان واس بآلة حادة، تجلطت الدماء حول الشعار الدامي، انتقلت قوات الشرطة للبناية في التوقيت نفسه الذي وصل فيه يوسف داخل سيارة أجرة إلى المصحة بعد أن ذهب إلى بيته وغير ملابسه الملطخة بدماء الغربان، استقبلته إحدى الممرضات لتخبره بطامته الكبرى، لقد مات أحمد عثمان، هرع ناحية البناية الخلفية، هاله ما رأى، انشغلت قوة الشرطة بعملها ووقف هو على باب الغرفة ممنوعًا من الدخول، كأن أحدهم دب سكينًا حادًا في قلبه، لقد كان يحب أحمد عثمان، ربما لكونهما متشابهين في أشياء كثيرة، بالأخص في وحدتهما، همس يوسف:

– الوداع يا صديقي.

لفت انتباهه شيئًا ما تحت قدميه، قرط فرعوني على شكل مفتاح الحياة، تذكر المرة الأولى التي رأى فيها شهرزاد، كان

في أذنيها قرط يشبهه، ساوره شك بعيد، وضعه في جيبه ملتفتًا حوله، عاصفة شديدة تجتاح المكان، الجميع يسعل بشدة، هواء يكاد يقتلعهم من مكانهم.

***

تفتح شهرزاد عينيها بعد أن تكسرت نافذتها بفعل العاصفة، تهتز الشقة كأنها على وشك السقوط في هوة عميقة، وقفت شهرزاد مرتبكة، الهواء يجتاح المكان بضراوة، أمسكت شهرزاد في جدار الممر الداخلي للشقة، العاصفة تزداد، أتربة كثيفة تغزو شقتها وضباب يعمي عينيها، أوراق تطير في الهواء وأبواب الشقة تكاد تُخلع من مكانها، ترتطم بإطاراتها بقوة وتنفتح، شيء ما تلاحظه شهرزاد أسفل قدميها، تحاول التماسك لتلتقطه، صورة لها مع أمها لم ترها من قبل، ابتسمت شهرزاد، كم تشتاق إلى تلك السيدة الراحلة! كم تحبها! هدأت العاصفة بغتة وساد الهدوء المفاجئ، سهم مرسوم بخط اليد على الصورة يشير لخلفيتها، قلبت شهرزاد الصورة لتقرأ المكتوب على ظهرها، برقت عيناها حينما رأت رسمًا لقناع ست الأسطوري مكتوب في جواره:

– في اللحظات الأخيرة قبل الموت سترى الحقيقة كاملة.. تتفتح لك الأبواب وينكشف عن عينيك الغطاء.. سترى ما لم يكن مسموحًا لك برؤيته.

التفتت شهرزاد ناحية القناع الأسطوري القابع مكانه من دون أن يتزحزح بفعل العاصفة الماضية، اقتربت منه وأمسكته، لا تدري ما الذي دفعها إلى إخفاء ذلك القناع عن فاروق وأنور وزملائها في العمل، كان عليها إخبارهم بأنها

عثرت عليه، ولكن هل سيصدقها أحد؟ كلا، سيصمونها بالجنون، همست شهرزاد قبل أن تضع القناع على وجهها:

– في اللحظات الأخيرة قبل الموت سترى الحقيقة كاملة.. تتفتح لك الأبواب وينكشف عن عينيك الغطاء.

ساد الظلام وصوت الساعة التي هي بحجم الكون مستمر لا يتوقف.

- 15 -

اليوم السادس والثلاثون

صوت دقات طبول بإيقاع مهيب، ضوء شديد يخترق ظلمة شهرزاد، تغمض عينيها تحت القناع من شدة الضوء، دقائق كالعمر كله استمعت فيها شهرزاد إلى دقات قلبها المرتجف، رويدًا رويدًا قلت سطوة الشعاع الضوئي وبدأت شهرزاد تُميز المكان، ممرها الأسطواني المعتاد، على مقربة منه ساحة كبيرة، وطأت قدميها تلك الساحة، نظرت حولها، بناء ضخم من الذهب الخالص، رجل جالس على عرش كبير عالي يبتسم لها، تراه الآن بوضوح، على خصره رداء ذهبي، عاري الصدر ويتوسط صدره طلاسم شيطانية بارزة سوداء، يمسك في يده صولجان واس، ذلك الرجل الرفيع أمامها هو الملك ست، نظر في عينيها بينما تسمرت هي في مكانها، ترجل هابطًا درجات عرشه من الياقوت، وقف أمامها، سألها بلغة فرعونية قديمة - لغة هيراطيقية - فهمتها شهرزاد على الفور:

– أنتِ من فتحتِ الأبواب؟

اهتزت القلادة في رقبتها فتعلقت عينا الرجل بها، سألته خائفة:

– من أنت؟

ضج المعبد بضحكاته، هلعت شهرزاد، سألته مجددًا:

– من أنت؟

عاد أدراجه نحو عرشه، جلس وأشار إليها بصولجانه:

– اقتربت عودتي يا شهرزاد، لقد عادل حورس الدماء المدنّسة بالدماء المقدّسة ولكن نسى أن الشيطان لا يُهزم، فمن بين دمائه المقدّسة يكون الممر البشري الوحيد.

أمواج من الدماء تجتاح شهرزاد بغتة فتغرق أسفله، شعرت شهرزاد بأنها تختنق، مدت يدها بالكاد وخلعت القناع.

سكون طاغي في صالة بيت الجدة رمزية، شهرزاد مبرقة العينين ممسكة بالقناع، ترميه بعيدًا عنها، تنهض سريعًا، تبحث عن شيء ما لترتديه وتجلس أمام حاسوبها الإلكتروني، تكتب في عنوان البحث على شبكة الإنترنت، أسطورة ست وحورس، قرأت جميع المقالات والأبحاث التي لم تمنحها جديدًا فهي باحثة دؤوبة في التاريخ القديم ولكن لفت انتباهها مقالًا جديدًا باللغة الإنجليزية على موقع تابع لموقع جماعة الشيطان (تمبل أوف ست)، مقال يتحدث عن قصة عجيبة لسيدة قابلت الشيطان منذ أيام قليلة على شاطئ بحر قريتها، هكذا قالت المرأة، وأخبرها أنه سيتجلى للعامة عما قريب، وقصت السيدة ما قاله الشيطان لها بالحرف الواحد، المقال مرفق بتسجيل لهذه السيدة، أدارته شهرزاد واستمعت لها، سيدة في العقد السادس من العمر شعرها كثيف البياض وعينيها زرقاوين، تحدثت بصوت خفيض:

– في الماضي السحيق كان الشيطان يتجلى للناس أينما شاء، حتى جاء أصحاب الدم المقدّس فحجبوه في بُعد موازي ولطالما قدّم هؤلاء تضحياتهم لتستمر حماية البشر من الشيطان حتى يأتي أحدهم ويستكثر تضحيته تلك، حينها

يستعد الشيطان في موكب عظيم تحرسه الغربان النافقة والعواصف والبراكين والزلازل ليتجلى للبشر من جديد عبر ممر بشري هو نفسه من أصحاب الدماء المقدّسة بعد تدنيسه.

همست شهرزاد:

– الممر البشري.

استكملت شهرزاد قراءة المقال في تعجب شديد، تفاصيل غريبة تعرفها لأول مرة عن تلك الأسطورة، توقفت عن جملة لم تفهمها:

"في العام السادس والثلاثين للوريث في اليوم السادس والثلاثين السماويّ سيومض ستان فوق موكب مهيب قادمًا من سفر بعيد وتبدأ مراسم استقباله".

صوت خبطات على الباب، أغلقت شهرزاد حاسوبها الإلكتروني، ترجلت نحو باب الشقة، فتحت الباب لترى يوسف واقفًا أمامها والدموع تملأ عينيه، همست:

– يوسف!

***

جلس يوسف بهلول في صالة البيت على الأريكة البنية وقدمت له شهرزاد فنجانًا من القهوة، الستائر تتطاير بفعل الهواء والنافذة مكسورة وزجاجها متناثرًا وسط كومة من الغبار الكثيف، الأمطار تتساقط مجددًا، ارتشف يوسف من فنجانه وشهرزاد جالسة في جواره مرتبكة:

– عذرًا يا شهرزاد، كان عليّ الاتصال أولًا قبل أن أفاجئك بالمجيء ولكن الموضوع غاية في الخطورة.

تعجبت شهرزاد وتداخلت الأحداث في رأسها بين الحقيقة والخيالات، سألته:

– خيرا!

– أحمد عثمان مدير أمن المستشفى انتحر.

قالها وسقطت دموعه رغمًا عنه.

– انتحرا!

– ونُحت على صدره بآلة حادة نفس الشعار، صولجان واس.

بُهتت شهرزاد، توقف عقلها عن فهم أي شيء مما يدور حولها هذه الفترة، وضع يوسف فنجانه واقترب منها متوسلًا:

– شهرزاد، أرجوكِ، لو أن هناك ما تخفينه عني فأخبريني به الآن، أرجوكِ يا شهرزاد.

صمتت شهرزاد للحظات، ترجلت ناحية الشرفة مترددة وتنهدت ثم التفتت إلى يوسف، حكت له كل شيء، منذ البداية حتى اللحظة الراهنة، حتى لقائهما الجنسي الزائف ليلة أمس وفقدانها لعذريتها الحقيقي، مع كل كلمة تخبره بها تزداد رعشاتها وتوترها وتتلاحق أنفاسها بسرعة مرعبة وكأنها في ماراثون للركض، تتساقط دموعها مضطربة كالمجذوبة خائفة من فقدان عقلها في عالم يملأه المعاتيه، حاول يوسف تهدئتها وطلب منها تناول مهدئًا كان بحوزته ولكنها رفضت صارخة في وجهه بعصبية شديدة:

– قلت لك إنني رأيته بأم عيني بعدما لبست ذلك القناع على وجهي.

– أرجوكِ يا شهرزاد اهدئي.

– لماذا لا تصدق يا يوسف؟ خذ القناع وضعه على وجهك وستراه.

ركضت ناحية القناع وحملته لتناوله له، قذفه بعيدًا على الأريكة بعصبية:

– فلتكفِ عن تلك الهلاوس.

ساد الصمت بينهما للحظات واحتبست الدموع في عينيّ شهرزاد، جلست حزينة في جوار القناع تنظر له، تنهد يوسف واقترب منها وربت على كتفها بحنان، حاول أن يغير مجرى الحديث، سألها:

– هل تخبريني مجددًا بما قرأتِه في تلك المقالة الأجنبية؟

– السيدة تقول أن الشيطان سيتجلى للناس من جديد عبر ممر بشري، يسكنه الشيطان ويجبره على تقديم القرابين البشرية المدنّسة إلى نفسه حتى يتمكن من التجلي بشكل كامل.

– وما الربط الذي ترينه بين خرافات هذه السيدة وأسطورة ست وحورس؟

– هذه الجماعة تعتقد أن ست هو ذاته الشيطان، وبما أننا عثرنا على مقبرة ست وأدركنا أنه حقيقة وليس أسطورة فربما التجلي هذا المقصود به عودة ست.

– عودة الميت إلى الحياة! شهرزاد، هل فقدتي عقلك؟

– أعلم أن ما أتحدث فيه خارج عن حدود المنطق ولكن كل ما يحدث لي منذ أن كنت طفلة لا منطق له، كل شيء متعلق

بست، كل شر وحرمان، كل آسى وفقد كان له دورًا رئيسيًا فيه.

أرجوك يا يوسف، حاول أن تفهم، ست يستعد للعودة، ست أو الشيطان كلاهما سيان، عودتهما ستسمح للشر أن ينتصر على العالم فيعم الخراب، ساعدني في العثور على الممر البشري قبل فوات الأوان، أرجوك يا يوسف، أرجوك.

انهارت شهرزاد باكية، احتضنها يوسف وربت على كتفيها، قبّلها وغابا في قبلة طويلة انتزعتها من انهيارها للحظات حتى سكنت بين ذراعيه.

***

بعد ساعات هدأت شهرزاد قليلًا وعاد يوسف إلى مكتبه بالمستشفى والقلق يساوره ولكنها طلبت منه ذلك لتذهب هي الأخرى إلى المتحف فلم تتعود الانشغال عن عملها يومًا مهما كانت الظروف، تحركت شهرزاد نحو متحف الحضارة الجديد، الأجواء متقلبة بشكل ملفت بين جو حار وممطر، زحام مروري في طريقها، الناس تمتلئ عيونهم بالدموع في سياراتهم، لاحظت شهرزاد وجوه المارة، إنهم يبكون صامتين جامدي الملامح، للمرة الأولى ترى ذلك الشعار اللعين مرسومًا على جميع البنايات على مدى البصر، طلبت من سائق سيارة التاكسي أن يتوقف، ترجلت مذهولة، لقد خُتمت البلد بشعار ست، شعار الشيطان، ركضت شهرزاد في الزحام، اخترقت التجمعات الباكية نحو المتحف، من شارع إلى آخر ومن ميدان إلى غيره والمشهد واحد يتكرر، الشعار هو السمة الأساسية له، وصلت شهرزاد تتلاحق أنفاسها إلى المتحف،

صولجان واس منحوتًا على الجدار الخارجي للمتحف، دخلت لاهثة إلى الداخل، مجموعة من العاملين مجتمعين حول شيء ما على الأرض، أفراد من الشرطة يجوبون المكان، في ساحة المتحف الداخلي سقط على الأرض غارقًا في دمائه رجل الأمن سيد عبد الصمد ميتًا، التفتت شهرزاد ناحية بهو فحص المومياوات العلوي بحدة، ترددت كلمات السيدة الأجنبية على مسامعها:

– الشيطان سيتجلى للناس من جديد عبر ممر بشري، يسكنه الشيطان ويجبره على تقديم القرابين البشرية المدنّسة إلى نفسه حتى يتمكن من التجلي بشكل كامل.

لاحظ السيد فاروق وجودها فتحرك ناحيتها.

– شهرزاد!

– ماذا حدث؟

– سيد عبد الصمد، عثرنا عليه في الصباح هكذا كما ترين.

– والكاميرات؟

– لم تلتقط شيئًا، يبدو أن هناك عطلًا حدث وقت وقوع الجريمة، الشرطة عثرت على رسائل بينه وبين شخص يُدعى عنتر على هاتفه المحمول، كانا يتفقان على سرقة المتحف.

– هل سُرق شيئًا؟

– لا، كل شيء في مكانه ولكنهم يبحثون عنه كمتهم أول في تلك الجريمة، شهرزاد، هل أنتِ بخير؟

– بخير.

تركته شهرزاد وتحركت نحو المصعد، دخلته وصعدت إلى الدور العلوي، انفتح بابه وولجت إلى بهو فحص المومياوات، اقتربت من المومياء القابعة في مكانها على طاولة رخاميّة ناظرة إليها بأعين ثاقبة متفحصة، لم تلاحظ وجود زميلها أنور علّام، تلك المومياء اللعينة الساكنة تسببت في العديد من المصائب لشهرزاد، تمنت لو أن صاحبها على قيد الحياة لتقتله مرات ومرات ولكنه للأسف غير ذلك، كيف تمنع ميتًا من العودة إلى الحياة؟

سؤال جنوني لا يصدقه عاقل، يتابعها أنور عن بُعد منشغلًا ببعض الملفات على حاسوب إلكتروني، شهرزاد تقترب من المومياء، تمد يدها وتمسك رسغه، عليها أن تتأكد من هواجسها، اللعنة، هناك نبض، شهرزاد تشعر بنبض قوي، انفتحت عين المومياء بغتة، عادت شهرزاد للوراء صارخة، ترك أنور ما في يده وهرع إليها:

– شهرزاد! لماذا تصرخين هكذا؟

– أنور، صاحب هذه المومياء يعود إلى الحياة.

– ماذا؟

– استمع إلى قلبه، إنه ينبض.

نظر إليها بقلق، مد يده وأمسك بسماعة طبية وضعها فوق صدر المومياء، لا يسمع شيئًا، نظر لها:

– لا شيء.

– محال، لقد شعرت بنبض قوي.

يمسك رسغه للتأكد، لا شيء.

– شهرزاد، أنتِ تحتاجين إلى الراحة، عودي إلى بيتك.

وقفت شهرزاد زائغة العينين أمام تلك المومياء اللعينة مرتبكة تتقاذفها أمواج الحيرة والجنون، خرجت سريعًا بعدها عائدة إلى بيت الجدة، بحثت مجددًا في كل مكان في غرفة الجدة بين كتبها ومتعلقاتها القديمة ولم تجد شيئًا يساعدها في حل تلك الألغاز، بين أوراقها المبعثرة بفعل العاصفة والغبار المتناثر جلست شهرزاد أرضًا تبكي لضعف حيلتها.

في سيارة قريبة قبع يوسف بهلول بالقرب من بيت الجدة يراقب شهرزاد خوفًا عليها، لقد تسرب إليه شك كبير بأنها مريضة نفسية بالفصام، وقد ترتكب الكثير من الجرائم من دون أن تشعر بها وربما يكون أحمد عثمان واحدًا من جرائمها، لقد تتبعها حتى المتحف من دون أن تراه ثم إلى بيت الجدة مجددًا، لن يبرح مكانه حتى يكتشف الحقيقة، شغله كثيرًا ذلك الشعار المنتشر في كل أرجاء العالم بعد أن كان علامة واضحة على انتحار رمزية، لكنه لم يُرجع الأمر إلى أسباب خارجة عن المنطق، وإن كان لا يجد له تفسيرًا، اهتزت الأرض من تحت السيارة، هزات أرضية عنيفة كاد أن تسقط لها البنايات المجاورة له، صوت مذيع في مذياع السيارة ينطلق مرتعشًا:

– اصطدام هائل لعدة قطارات في آن واحد وضحايا بالآلاف بسبب سوء الأحوال الجوية.. هزات أرضية عنيفة تهاجم العالم في كل مكان وسقوط مئات البيوت جراء زلازل عنيفة متتالية والحكومات تحذر المواطنين من مغادرة منازلهم.

غبار كثيف على مدى البصر يراه يوسف، هبط من سيارته بالكاد متغلبًا على تلك الهزات، تساقطت أغلب البنايات البعيدة محدثة دوامات من الغبار الكثيف الصاعد نحو السماء ليحجب شمسها.

وقفت شهرزاد شاهدة على ذلك الدمار في شرفة بيت رمزية المطل على الخراب والدموع تنساب من عينيها، في جوارها قناع ست الأسطوري وقد جربته مرات ومرات من دون فائدة، كأن مقابلتها مع ست كانت كابوسًا غير حقيقي، جلست ممسكة تلك الصورة لها مع أمها، تقرأ الكلمات المكتوبة عليها عشرات المرات:

– في اللحظات الأخيرة قبل الموت سترى الحقيقة كاملة.. تتفتح لك الأبواب وينكشف عن عينيك الغطاء.. سترى ما لم يكن مسموحًا لك برؤيته.

تتداعى إلى ذاكرتها لقطات متفرقة للحظات قاسية في مرحاض ذلك البيت، شعار صولجان واس على الحائط مرسومًا بالدماء ونجمة خماسية على الأرض وبعض الطلاسم السحرية التي تتذكرها بالكاد، جدتها تربت على كتفيها وهي بنت الثماني سنوات ثم تجبرها على الغطس تحت المياه لتغرق، صوت جدتها يتسرب إليها:

– في اللحظات الأخيرة قبل الموت سترى الحقيقة كاملة.

يقطع شرودها رنين هاتفها المحمول، ترد، صوت أنور علّام حزينًا يحدثها:

– شهرزاد، انتحر السيد فاروق.

تركت هاتفها وانطلقت راكضة نحو المتحف حافية القدمين تحت سماء ملبدة بالغيوم يغيب عنها القمر تمامًا هذه الليلة، حتى وصلت إلى داخل مكتب فاروق في الدور العلوي بالقرب من بهو المومياوات، تصبب عرقها وتتابعت أنفاسها لاهثة والشرطة تتابع عملها في نفس المكان بجريمة أخرى مجهول فاعلها بعد أقل من 12 ساعة، أنور عينيه مغرورقة بالدموع، جثة فاروق مغطاة وتظهر ذراعه اليسرى من تحت الغطاء البلاستيكي، منحوت على ذراعه بالة حادة صولجان واس والدماء متجلطة، اقتربت منه شهرزاد ولكن أحد رجال الشرطة منعها، بكت شهرزاد، الشر يقترب، صرخت شهرزاد:

– الشر يقترب، الشر يقترب.

ثم خرجت ركضًا كالمجذوبة بين أسئلة عديدة تنتظرها في التحقيقات وإجابات مطالبة بها لزملائها في العمل وجهات التحقيق، عادت أدراجها إلى البيت والناس هلوعة تتبادل الصرخات في الشوارع مشردين غارقين في نوبات من البكاء الحاد، تدخل بيت رمزية لاهثة، الدماء تنساب من قدميها، يبدو أنها جُرحت بسبب خروجها حافية، هرعت إلى مرحاض البيت، فتحت صنبور المياه لتملأ المسبح عن آخره، رسمت بتلك الدماء المنسابة من قدميها صولجان واس على الحائط، رسمت النجمة الخماسية على الأرض، كتبت تلك الطلاسم كما تتذكرها في كل مكان، طلاسم جدتها، تلك فرصتها الأخيرة، أن تدنو من الموت، لينكشف عنها الحجاب، ذلك ما حدث لها في صغرها، لقد رأت تلك المقبرة التي اكتشفتها عندما أغرقتها جدتها في المسبح، الآن تكاد تُجزم بذلك، عليها أن

تتأكد، غطست شهرزاد داخل المسبح وكتمت أنفاسها، منعت نفسها بكل قوة من الخروج، تسربت المياه إلى رئتيها، تكاد تختنق، قُذفت إلى ممرها الأسطواني، ساد الظلام.

- 16 -

اليوم السادس والثلاثون

دقات طبول بإيقاع رتيب، شهرزاد واقفة تتصبب المياه من ملابسها بغزارة، أناس بزي فرعوني قديم كما يظهر على الجداريات في المعابد، جنود حاملين سيوفهم في كل مكان مرتدين ما يسمى "الشنديت" الذي يبلغ للركبة أو فوق الركبة مربوطًا حول الخصر بحزام مصنوع من القماش، ضاربي الطبول يقفون صفين تمر بينهما شهرزاد، ممر طويل في نهايته معبد كبير بديع الطراز، معبد أحجاره من الذهب، أمامه تمثال يفترش الأرض له رأس إنسان وجسد حيواني، شكل مُعدل لتمثال أبي الهول، تدخل شهرزاد من باب المعبد والناس يتابعونها صامتين، تترجل فوق أرضيته الرخامية مبهورة متوجسة، بهو كبير في داخله تمثال آخر يشبه ما وضع بالخارج، رجل مفتول العضلات ينحني له الجميع في هذا البهو وفي جواره سيدة ترتدي فستانًا من الذهب مرصعًا بالياقوت واللؤلؤ، إيزيس، وأمامهما جثمان لرجل مُلقى على طاولة، دققت النظر فيه، إنه الرجل نفسه التي رأته في كابوسها الماضي عندما ارتدت القناع الأسطوري، إنه ست، تتحرك القلادة على صدر شهرزاد، الرجل المفتول العضلات يراها ويبتسم لها، يهتف الجميع:

– يعيش الملك حورس، يعيش الملك حورس.

تتعالى أنفاس شهرزاد وكأنها تختنق، يهتز العالم أمامها، صوت بكاء طفلة، ترى شهرزاد نفسها بنت ثمانِ سنوات

تمر بين الحضور باكية بخوف شديد، تُظلم القاعة بأكملها، صوت بكاء شهرزاد يتعالى، صوت الطبول مستمر، تجد شهرزاد نفسها في ممرها الأسطواني، ترى الجدة جالسة على مكتب في نهاية الممر، تقترب منها شهرزاد بتوجس، تتلاعب الإضاءة الخافتة من مصابيح جانبية تكاد تحترق، تقف شهرزاد أمام رمزية العجوز الجالسة في هدوء تبتسم لها، لحظات من الصمت المطبق قطعته رمزية:

– أنا وجدك كنا من حراس قلادة حورس، أصحاب الدم المقدّس، كُتب علينا التضحية لحماية البشر الأخيار من الشر الكامن في الكون، من الشيطان، أن نُقدم دماء أول طفل كل مائة عام قربانًا مقدّسًا، لطالما وجدت الدماء المقدّسة حرزًا ضد أتباع الشر أصحاب الدماء المدنّسة، لكن مع اقتراب وضع طفلي الأول ساورني الخوف لفقدانه، لم أتحمل ذلك الشعور قط، فقررت الهروب وجدك من عهد حورس وامتنعت عن تقديم أمك قربانًا، لم أكن على دراية كاملة باتفاق شيطاني عُقد بامتياز مع أتباع الشر، لتنتهي الحماية لا بد لحامل الدم المقدّس أن يتحول إلى حامل دم مدنّس، ليصير هو ذاته الممر البشري لتجلي الشيطان أو بمعنى آخر الممر البشري لعودة ست والشر الكامن في داخله إلى الحياة من جديد، جن جنوني عندما توصل إليّ الأعضاء السريين لجماعة حورس بعد سنين من الفرار داخل ذلك البيت، حاوطتني اللعنات من كل مكان، حمّلوني نتيجة أفعالي، سيعود الشر، سيحكم العالم بنجاح، بعدها راقبت أمك، انتابتها حالة من الهذيان والجنون، باتت تنطق بكلمات فرعونية وطلاسم من دون أن تدرى بل أنني رأيتها بأم عينيّ تذبح رجلًا ركبت في جواره في سيارته

ذات ليلة، حينئذ تأكدت أنها حقًا الممر البشري المزعوم، وأنها تُقدم القرابين المدنّسة للشيطان، قتلتها، كان عليّ منعه بكل قوة مهما كان الثمن، وحاولت قتلك لأُغلق كل طريق ممكن لعودة ست، إن ورثة الدم المقدّس أعدادهم قليلة للغاية وإن ماتت أمك وأنتِ كذلك وأنا بعدكما فلن يجد ست ممرًا بشريًا ليعود مهما بلغ الشر أقصاه في العالم، سيصير شرًا ناقصًا من دون زعامة حتى وإن غاب عن المشهد ورثة حورس من الكهنة أصحاب الدم المقدّس، هكذا فكرت، لكن والدك منعني في آخر لحظة، ولم يتحمل عقلي كل ذلك فأصابني الجنون، لم استطع تغيير شيئًا لتبقى النتيجة النهائية واحدة، أنتِ يا شهرزاد، أنتِ الممر البشري الوحيد لست.

اختنقت شهرزاد أكثر وأكثر، ساد الظلام للحظات، ومضات سريعة متلاحقة تراها شهرزاد كمشاهد مرت بها في أيامها السابقة، ترى شهرزاد نفسها واقفة في متحف الحضارة لحظة فتح التابوت، تنظر إلى المومياء بعينين شيطانيتين سوداويتين من دون أن يلاحظ من حولها ذلك، ترفع القناع الأسطوري بيدها، تنظر إلى القناع، ترى شهرزاد نفسها في أحد أروقة المستشفى في الممر الخلفي للبناية الخاضعة للتجديد تحت أمطار غزيرة، أحمد عثمان مدير الأمن يتابعها متعجبًا، شهرزاد تقف في نهاية أحد الأروقة وتنظر له مبتسمة وكأنها الشيطان ذاته، تدخل شهرزاد غرفة ويدخل وراها أحمد، ترى شهرزاد نفسها وهي تمسك طبنجة أحمد المستسلم لها في شرود وتضعها في يده، يخلع أحمد ملابسه ليصير عاريًا مسلوب الإرادة، تمسك شهرزاد سكينًا حادًا وتقوم بنحت صولجان واس على صدر أحمد وتتساقط دمائه، يقوم بعدها

أحمد بإطلاق الرصاص على رأسه ويسقط ميتًا في الحال، تضحك شهرزاد ضحكات شيطانية هادئة ثم تخرج، ترى نفسها تدخل متحف الحضارة ليلًا متسلقة من فوق أحد الأسوار ثم تقوم بقطع الكهرباء عن المتحف داخل غرفة التحكم الكهربائي ثم ترى نفسها تطعن رجل الأمن سيد عبد الصمد ليقع ميتًا في الحال، ترى نفسها تقطع قميص السيد فاروق عن جسده في مكتبه وتقوم برسم شعار صولجان واس على ذراعه، ثم تذبحه مستسلمًا لها تمامًا فيسقط يخور على الأرض غارقًا في دمائه، لقطات سريعة أخرى لأناس كثيرين تذبحهم شهرزاد، أو تخنقهم بيدها أو تطعنهم في قلوبهم وتقوم برسم الشعار على أجساد الجميع، ترى شهرزاد نفسها واقفة أمام مرآة صالة بيت رمزية، عيناها سوداوان مرعبة، تضحك.

تختنق شهرزاد تمامًا، تخرج من المسبح لاهثة تلتقط أنفاسها على آخر لحظة، تستنشق الهواء كطوق نجاة أُلقى إليها قبل الموت خنقًا، تتعالى أنفاسها، لاحظت حينئذ حبيبها يوسف بهلول واقفًا بالقرب منها متحفزًا ممسكًا بسكين في يده والشر يتطاير من عينيه، همست:

– يوسف!

- 17 -

اليوم السادس والثلاثون

دقات الساعة التي هي بحجم الكون مستمرة من دون توقف، شهرزاد جالسة فوق كرسي خشبي في منتصف صالة بيت جدتها مربوطة بحبال سميكة، ترى في منتصف السماء تلك الساعة الضخمة وكأنها القمر عبر النافذة المكسور زجاجها، اختفت السحب من السماء تمامًا والنجوم ولم يعد هناك غير الظلام الدامس وتلك الساعة الذهبية تُرسل ضوءها الوحيد لتنير الكون الموشك على الفناء.

وقف يوسف بهلول أمام شهرزاد المُنهكة غاضبًا:

– حاولت كثيرًا تكذيب نفسي، حتى بعد أن وجدت قُرطك الفرعوني في القرب من جثة أحمد عثمان لم أصدق، اعتقدت أنها مجرد مصادفة وربما يكون قرطًا مشابهًا ليس إلا، ولكنني تأكدت الليلة من كل شيء.

قاطعته شهرزاد بصوت واهن:

– ست يستعد للعودة يا يوسف، أنا الممر البشري له.

صرخ في غضب شديد:

– فليكفي يا شهرزاد، فليكفي، لقد رأيتك وأنتِ تذبحين السيد فاروق في مكتبه بأم عيني.

– افهم يا يوسف، روح ست تحتل جسدي، ست هو القاتل وليس أنا.

– أنتِ مريضة يا شهرزاد، مريضة، ويجب أن يبدأ العلاج

فورًا.

– لست مريضة.

– لا تخافي، سأقف في جوارك، أدرك جيدًا أنك ارتكبتِ جرائمك غائبة الوعي والعقل.

– يوسف، لماذا لا تفهم؟ كل هؤلاء كانوا قرابين لست، أرجوك ساعدني قبل فوات الأوان.

– سأساعدك.

حينها أخرج يوسف من جيبه حقنة مملوءة بمنوم ودبه في ذراع شهرزاد بغتة ففغابت عن الوعي.

***

تحت أمطار غزيرة تأتي من سماء خاوية وقف الناس في كل العالم مبرقي العينين ثابتين في أماكنهم كالتماثيل الصماء، أصوات متداخلة للرياح وكأنها تتحدث بصوت تسمعه شهرزاد جيدًا وتفسره:

– ساتان، ساتان.

جلست شهرزاد في غرفة منزوية في مستشفى العباسية للطب النفسي على فراش بارد كالثلج شاردة، تنظر عن بعد إلى تلك المرآة في جانب الغرفة وتستمع إلى صوت الرياح وتهمس:

– ساتان، ساتان.

تدندن شهرزاد كاظم بتلك الأغنية ذات الكلمات الهيراطيقية التي غنتها لها أمها في صغرها:

– كالنجمة المتألقة ليلة عيد، تشرق في رأس السنة كأنها ليلة عيد، عيناها جميلتان شفتاها ياقوت أحمر شعرها كالجواهر السوداء أحبك.. أحبك.. أحبك.

جلس يوسف بهلول في مكتبه يتابع شهرزاد عبر كاميرا صغيرة زرعها في غرفتها المغلقة الباب بجنزير حديدي، لا يمكن لشهرزاد الهرب أبدًا حتى عبر النافذة ذات الأسياخ الحديدية، شهرزاد ظاهرة في شاشة حاسوبه الإلكتروني في مكانها لا تتحرك، عاصفة قوية تهب من جديد، شهرزاد تنهض وتتحرك ناحية النافذة وتنظر نحو السماء، دقات الساعة مستمرة ولا يراها غير شهرزاد، أما يوسف فيرى السماء مظلمة من دون قمر، طيور ضخمة بمناقير مدببة حادة وأرجل عظيمة بمخالب يقطر منها الدماء تظهر في السماء، طيور رأسها يشبه ذلك القناع الأسطوري لست المزيج بين الحصان والغراب والذئب، الطيور تقترب من البشر بأعداد لا تُحصى خافقة بأجنحتها الضخمة، شهرزاد ترى ذلك وتحتبس الدموع في عينيها.

أضواء مخيفة تبرق في عيون تلك الطيور كأنه برق مهيب، أجنحتها تضرب الهواء لينتج عنها عاصفة ترابية ضخمة تكاد تقتلع الناس من الحياة وتُلقيهم في دوامات من جحيم لا يُضاهى، ووسط ذلك الارتباك تلتقط مخالبهم البشر الصامتين الثابتين وترتفع بهم عنان السماء وتتركهم يسقطون لتتمزق أجسادهم وتتناثر أحشائهم في كل مكان وتمتزج دمائهم، رائحة الدماء الممتزجة تجزع لها النفس، شهرزاد ترى ذلك عبر نافذة الغرفة، أمواج عاتية من الدماء تقترب من بناية

المستشفى كأنه طوفان مرعب، تقترب شهرزاد من المرآة وتنظر فيها بعينين سوداويتين شيطانية، يوسف يتابعها عبر الكاميرا، تتشنج شهرزاد وتنفر عروقها ويتساقط عرقها بغزارة، تبرق عينيها، تتحدث بصوت رجولي أجش مغلفًا بقوة عارمة:

– أنا من يشرق في الكون ويخرج من مساكنه الخفية.. أنا من يعود من الأفق الشرقي للسماء وأسبر أغوار الدروب وأطوف حول مقامي المقدّس.. أنا القاطن فوق ريح الشمال، القوي على الأرض.. وفي العالم السفلي، أنا الملك ست العظيم.

اهتز العالم لتلك الكلمات وارتطمت البناية حينها بطوفان الدم، كسرت شهرزاد المرآة ومدت يدها وأمسكت بقطعة زجاج مكسورة وغرزتها في خدها الأيسر ونحتت عليه صولجان واس، برقت عينا يوسف وهو يرى ذلك، واندفعت الدماء تُغرق أروقة المستشفى حتى صارت في لحظات تحت سطح الدم، غرقت شهرزاد وأخذت تجاهد حتى تصعد إلى السطح سابحة، ساد الظلام للحظة ثم هدأ كل شيء بغتة، انحسرت الدماء وفتحت شهرزاد عينيها ونظرت حولها في شر مطلق، في الرواق يأتي يوسف بهلول ركضًا ناحية غرفة شهرزاد، فتح الجنزير بمفتاح معه ثم دخل الغرفة، بحث عنها في كل مكان ولم يعثر لها على أثر، كانت المفاجأة الكبرى أن الأسياخ الحديدية المغلقة للنافذة مطوية للجانب، هربت شهرزاد.

- 18 -

اليوم الأخير

انطلقت سيارة فارهة بشهرزاد مقيدة بعد اختطافها من المستشفى وفي جوارها رجل الأعمال الكبير منصور الأجدع، الدماء تنساب من خدها الأيسر ولاصق بلاستيكي فوق فمها، السيارة تتحرك وسط الخراب والدماء والأشلاء، تنظر شهرزاد إلى ذلك الرجل الجالس في جوارها، تلاحظ عصا في جواره، تدقق النظر فيها، إنها عصا على شكل صولجان واس، على يده طلاسم شيطانية شبيهة بتلك الطلاسم التي رسمتها جدتها في المرحاض، وعلى صدره سلسلة ذهبية يتدلى منها نجمة خماسية، في الطريق على الأشلاء وقف أناس يرتدون زيّ الفراعنة القديم يدقون الطبول العملاقة بإيقاع مهيب، على صدورهم سلاسل ذهبية لها نفس الشكل يتدلى منها نجوم خماسية، امتلأت ميادين العالم بأولئك الناجين من غدر الطبيعة كما أُطلق عليه الإعلام، مراسل تليفزيوني يقف في أحد الميادين بنفس الزي أمام الكاميرا لينقل بثًا مباشرًا للحدث المرتقب، يتحدث بكل فخر وسط تهليل الناجين:

– تستعد البلاد لاستقبال الإله الفعظم ست، الجدير بالذكر أن الجماعة السرية تمبل أوف ست قد سيطرت على العالم الليلة الماضية بواسطة أعضاءها السريين البالغ عددهم ما يقارب من خمسة ملايين عضوًا.

استمعت شهرزاد إلى ذلك عبر مذياع السيارة، نظرت إلى الرجل الجالس في جوارها، ابتسم لها وتحدث إليها في

هدوء:

– آلاف السنين ننتظر هذه اللحظة، عودة ست، أو بالأحرى تجلي الشيطان، كل شيء كان معلقًا بإيجاد قلادة حورس والبرديّة الحاوية للكلمات السحرية، من أوقف حورس مفعولها وربطها بدمائكم المقدّسة، لقد ظلت تلك البرديّة وقلادته تتنقل بسرية بين ورثة عهد حورس القليلين، حتى جاء والدك السيد كاظم مروان وتحدث عنها في تلميح لموضوع كتابه الجديد التاريخ المحرّم، حينها أدركنا أن اللحظة الحاسمة قد جاءت، دعيني أخبرك شيئًا، هل تعلمين كيف سيطرت جماعة تمبل أوف ست على العالم؟

سأخبرك، في كل إنسان في هذا الكون شخصان في جسد واحد أحدهما ضعيفًا يحب الخير والآخر قويًا يعتنق الشر الكامن، ذلك الصراع منذ أن خُلق الإنسان مستمرًا، بالرغم من ذلك فقرار اتباع الشر المطلق لا يتخذه غير القليلين، كما ترين خمسة ملايين ضمن سبعة مليارات شخصًا عبر العالم، هؤلاء فقط من يستحقون النجاة، تم اختيارنا بعناية فائقة، لا أحد يعلم متى بدأ الأمر وكيف؟ ولكن هناك من يختار الأشرار في العالم أجمع وكنت أنا منهم، اعتقدنا بأن الشيطان هو من يختارنا وآمنا بذلك، مجموعة من الأثرياء وبعض القادة السياسيين وغيرهم من مواقع قوة لا يستهان بها في كل المجالات، تعلمين تلك الطيور العملاقة على شكل رأس ست الأسطوري؟ هذه طائرات حربية صُنعت على شكل رأس ست، طائرات مهمتها القضاء على الأخيار أو بالأحرى غير المختارين ضمن جماعة تمبل أوف ست، تلك الشعارات

المرسومة على البنايات في العالم هي علامات لأماكن تجمع الأخيار رسمها أعضاء الجماعة في سرية في آن واحد في كل مكان رصدوه، وتلك السلاسل الحاملة للنجمة الخماسية كانت علامة النجاة لمن يرتديها، ترصد الطائرات أصحابها وتتفادى الاقتراب منهم، أما الزلازل والعواصف وموت الغربان فكانت أشياءً تلهي الناس والإعلام حتى يتسنى لنا الانتشار بسهولة ويسر وتنفيذ مخططنا بنجاح، والآن كما ترين لم يتبق من أصحاب الدم المقدّس غيرك، أنتِ الممر الوحيد لست بعدها يتجلى لنا الشيطان ويحكم العالم وننعم برخاء وخلود وعدنا به في معتقداتنا المتوارثة، كنا نسابق الزمن، في الوقت الذي تتحرك فيه روح ست في داخلك وتجبرك على تقديم القرابين المدنسة إليه، من أناس يكمن الشر في داخلهم ولكنهم لا يقوون على مصارحة أنفسهم بأنهم مذنبون، فاروق تاجر الآثار وسيد عبد الصمد المخطط لسرقة المتحف وأحمد عثمان تاجر الأدوية المهربة وغيرهم عشرات من القرابين الذين قتلتِهم من دون أن تشعري بذلك، كان علينا الانتهاء من كل شيء قبل أن يعطينا ست العلامة، أن يرسم على وجهك شعاره، صولجان واس.

توقفت السيارة، هبط من الكرسي المجاور لقائدها مغاوري بك وفتح الباب لمنصور الأجدع، فك حينها مغاوري قيود شهرزاد وأزال الشريط اللاصق عن فمها، اقتادها بعض الرجال المرتدين للزي الفرعوني، نظرت حولها، المكان تعرفه جيدًا على الرغم من الضباب الكثيف حولها، الأهرامات الثلاثة، أمام الهرم الأكبر اجتمعت حشود الأشرار وفي صدورهم تلك السلاسل المعلنة لانتماءاتهم، الطبول تُدق بإيقاع سريع،

المعازف تنطلق ألحانها الراقصة احتفالًا بتحقيق مبتغاهم، ضباب كثيف يملأ الكون ينتظر شروق الشمس في شوق جارف، رائحة دخان محترق يملأ أنوفهم، ترى شهرزاد طاولة ذهبية يرقد عليها صاحب المومياء ست فوق منصة رخامية عالية، اجتمع حوله مجموعة من الناس ضُلع الرؤوس، التفت كبيرهم سنًا ناحية شهرزاد التي يجرها رجلان نحو المنصة، تصعد السلالم الرخامية، تقف شهرزاد أمام شهود الأشرار، تنقل كاميرات التلفاز تلك اللحظات للعالم أجمع، لحظة تجلي الشيطان، وقف منصور الأجدع في جوارها يهتف:

– فليحيا الشيطان ست، فليحيا الشيطان ست.

ردد الجميع هتافاتهم ورائه ليضج العالم أجمع بأصواتهم:

– ساتان، ساتان.

– ساتان، ساتان.

تعالت أصوات دقات الطبول عاليًا مترقبين، ظهر فوق المنصة شاب عاري الصدر، على جسده تظهر طلاسم شيطانية بارزة، وعلى وجهه قناعًا فضيًا به خطوط ذهبية عرضية يخفي وجهه، كان ذلك هو الرجل المجهول الموكل بشهرزاد كاظم، من قتل والده وقدمه قربانًا إلى الشيطان ليساعده على إيجاد مومياء ست، اقترب منها، هلل منصور الأجدع:

– والآن أيها السادة موعدكم مع القربان الأخير من سلالة القاتل الثاني بعد الطوفان، كما تعلمون أن الطوفان قد قضى على أتباع آمون القاتل الأول لأخيه هابيل، آمون هو قابيل، كل أعضاء الجماعة يعلمون ذلك، لكن الشر يولد مجددًا

متحديًا طوفان حصد أرواح البشر إلا القليل، وبالرغم من أن القليل هؤلاء كانوا أخيارًا عن بكرة أبيهم إلا أن القاتل الثاني ظهر بين أحفادهم ونجح في إعادة الهيبة لأتباع الشيطان، نحن، فليحيا الشيطان ست.

- فليحيا الشيطان ست.

- ساتان، ساتان.

- ساتان، ساتان.

وقف الرجل المجهول أمام شهرزاد ناظرًا في عينيها، شعرت بأنها تعرفه جيدًا، في هذه اللحظة أزال الرجل المجهول قناعه الفضي لتصعق شهرزاد، إنه يوسف بهلول.

يوسف بهلول من تعذب كثيرًا لفقدان حبيبته تغريد بيد من حاولت هي علاج أهاليهم من السرطان، قرر بعدها الانتقام لها من أناس لا يستحقون إلا الشر فاندفع مُعلنًا بكل وضوح عن اعتناقه للشر ضمن جماعة تمبل أوف ست التي وجد مبتغاه لديهم، تلك القرابين التي كان يُقدمها للشيطان في فيلا المزرعة كانت تشعره بالسعادة لانتقامه لحبيبته التي عشقها بكل كيانه، من الحب ما قتل، ولقد أُقسم على قتل البشر أجمعين لأنهم لم يمنحوه الفرصة للعيش بجوارها، كانت شهرزاد هي فرصته الثالثة في حب لم يكن في موعده، بعد فتاة هجرته في الصغر وتغريد التي يعيش على ذكراها وشهرزاد التي يراقبها بأوامر من منصور الأجدع منذ أن نُقل إلى مستشفى العباسية ليراقب الجدة رمزية ويحاول الوصول إلى أي شيء يساعد أتباع الشر بعد أن نشر والدها كاظم مروان تلميحًا واضحًا عن البرديّة التي يبحثون عنها

منذ القدم، وصدق حدسهم فقد عثروا في متعلقات الجدة على قلادة حورس ولم يتبق لهم غير العثور على البرديّة.

سالت الدموع من عينيّ شهرزاد، اقترب أحدهم حاملًا سيفًا ذهبيًا وقدمه لمنصور الأجدع، تناوله الأجدع وتعالت دقات الطبول، اشتاقت العيون إلى رؤية شيطانهم، لحظات وينهض ست من موته ويتجلى الشيطان لهم، كل ما عليهم فعله هو تنفيذ الخطوة الأخيرة، أن تقتل شهرزاد يوسف وتقدمه قربانًا أخيرًا لست، ناولها الأجدع السيف وأمرها بقوة وحماس:

– هيا اقتليه.

ترددت شهرزاد كثيرًا، صرخ فيها يوسف:

– اقتليني يا شهرزاد، أطيحِ برأس القربان الأخير، هذا العالم يستحق الشر.

تعالت دقات قلبها، لوهلة رأت شهرزاد نفسها طفلة بنت ثماني سنوات تمر بين الناس وتنظر لها والدموع تملأ عينيها، ثم رأت الجدة رمزية تشير إليها بعدم فعل ذلك، احتضنت الجدة الطفلة الصغيرة وأغمضت أعينهن، الطبول تزداد إيقاعاتها والناس تهتف:

– ساتان، ساتان.

يوسف يصرخ:

– اقتليني يا شهرزاد.

الأجدع يصرخ:

– اذبحي القربان الأخير.

رفعت حينها السيف عاليًا وفي غمضة عين اتخذت قرارها، وجدت نفسها بغتة داخل ممرها الأسطواني وحيوانات أسطورية تحاوطها، تلك الشبيهة رأسها برأس تمثال ست، تزأر حولها بقوة وتقترب منها، تقفز شهرزاد راكضة بكل قوتها، يلاحقونها، تتابع أنفاسها، تقفز في الهواء، تسقط لأسفل ويختفي الممر بغتة، ترى الساعة التي هي بحجم الكون يتدلى منها حبل سميك، تلتقطه وتتمسك به، تتأرجح في الهواء وتنظر أسفلها، هوة سحيقة تنذر بهلاكها، ضباب كثيف يزداد رويدًا رويدًا، وجوه تظهر لها وتختفي عبر ذلك الضباب، وجوه من الماضي، أرتيس وفيلمونيس، الكاهن فيلمون، حورس، ست، أوزيريس، إيزيس، نقراويس، قابيل، عناق بنت آدم ذات الرأسين، ينقطع الحبل بغتة، تسقط شهرزاد نحو الفراغ، ترى شهرزاد نفسها تحت المياه مكتومة النفس، كل ذلك يدور في رأس شهرزاد في تلك اللحظة.

ترقب تراه في أعين الجميع حولها أمام الهرم الأكبر، تستنشق أخر أنفاسها وسط ذلك الجمع المدنّس، ثم تنفذ قرارها، دبت السيف في قلبها فبُهت الناس وزال الضباب في لحظتها، احترقت المومياء وشهرزاد تسقط ميتة لتفارق الحياة تضحية كما أرادت جدتها لها منذ خمسة وعشرين عامًا، صرخ الأشرار وتعالى النحيب، فتحت الجدة والطفلة أعينهن وابتسموا، رأتهم شهرزاد للمرة الأخيرة وهي تفارق الدنيا واستمعت إلى صوت الطفلة تغني أغنيتها المفضلة:

– سألتك حبيبي لوين رايحين؟

خلينا خلينا وتسبقنا سنين

سألتك حبيبي لوين رايحين؟

خلينا خلينا وتسبقنا سنين

إذا كنا ع طول، التقينا ع طول

ليش ما نتلفت خايفين؟

دندنت معها الأغنية وآخر ما رأته في السماء هو تلك الساعة التي هي بحجم الكون تتوقف عقاربها عن الحركة فقد أُعلن انتهاء الاختبار من دون أية فرصة أُخرى كما حدث من قبل بعد طوفان نوح، لاحظت خروج الشمس من مغربها، إنها النهاية إذَنْ، أسلمت الروح، ماتت شهرزاد، أخر الأخيار في الأرض.

تمت بحمد الله

6 مارس 2022

د. عمرو البدالي

شكر خاص لصديقي المخرج خالد نعيم.
شكر خاص لأعضاء لجنة القراءة والتقييم:
مها عاشور - محمد الأسيوطي -
الكاتب والصديق محمد مسعد.

Notes

[←1]

مقتبس من كتاب الجبتانا لمانيتون السمنودي - أسفار التكوين المصرية - 280 ق.م.